مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

حسن المطابقة بين حكم القرآن والواقع
"تأصيلاً وتطبيقاً "

الدكتور فاتح حسني عبد الكريم
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية، بكلية التربية بالزلفي، جامعة المجمعة

ملخص البحث. يتلخص البحث في بيان قضية خطيرة، خاض فيها العالِم وزلّ فيها الجاهل؛ وهي حسن المطابقة بين الآية القرآنية وواقعها المناسب لها زماناً واستدلالاً؛ وكيف خاض هذا الميدان الصعب من لا أهلية له، وركب الجواد غير فارسه، وحمل القوس غير باريها، فكثر الخطأ وشاع الضلال.

وقعّد الباحث وأصّل لضوابط هذا الدرب الصعب، وبيّن لما اصطلح عليه بالتفسير بالقياس، والفرق بين الدليل والاستدلال، وكيف كان هدي النبي ﷺ في حسن المطابقة، وبيّن الباحث الأسباب المفضية لسوء المطابقة بين القرآن والواقع، وضرب أمثلة علمية وشعبوية على الإخفاق في حسن المطابقة.

وكانت نتيجة البحث أنّ العلم العميق بالقرآن والسنة يجب أن يُشفع بعلم عميق وأفق واسع بواقع الناس، بأغواره وأبعاده، وأنّ المجتهد الناجح من جمع بينهما برحابة النظر وضوابط المقصد.

ويوصي الباحث بأن تتولى الحكومات أمر الاجتهاد؛ بسلطان القانون، وغرس مهابة القيم العلمية والاجتهاد بها.

كلمات مفتاحية: مطابقة/ تنزيل/ الواقع / الاستدلال.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

تعد قضـــية المطابقة بين حكم الآية القرآنية والواقع الملائم لها من أخطر التحديات التي واجهت المفســـرين؛ إذ أنّ التوفيق لذلك يعني التوصـل لحكم الله فيها، وعكس ذلك يعني أنّ المفسـر قد جانب حكم الله في واقعة نازلة وحادثة شـاهدة، ومن هنا كانت الخطورة؛ فإنّ الأهلية لهذه المهارة العالية تحتاج لاحتراف ودُربة، لا تتحصـل لقصـير النظر وعجول الفكر، وهذا ما يفسـر التيه الذي دخله فاقد بوصـلة الحقيقة، البوصـلة المعرفية بجناحيها القرآني والواقعي. وتولى الأمر من لا أهلية له، ورمى بالقوس غير باريها، وما دروا أنّ فقه تنزيل النصوص على واقعها الصحيح ليس بالأمر الهين، بل هي مواهب وكُسبٌ[١]، بذلت لها الأوقات، وتركت دونها المسرات، وتفانت فيها الأعمار.

ويعالج هذا البحث هذه القضـية المنهجية الجسـيمة، بمعرفة ضـوابطها وتأصـيل مداخلها وعواقب إهمالها، فبيّن معنى المطابقة والتنزيل والتفســير بالقياس، والعلاقة بين الدليل والاســتدلال، وضــرب أمثلة من هدي النبي ﷺ على الاســتدلال والمطابقة، وما هي ضوابط المطابقة، وعرض لبعض استدلالات المفسرين وإسقاط تفسيرهم على واقعهم، وبيّن الباحث بواعث الانحراف في المطابقة بين حكم الآية والواقع، وما هي أسـباب الانحراف الذي وقع فيه بعض من نصّـب نفسـه وصـيّاً على الدين.

مشكلة البحث:

يقوم البحث على الإجابة عن المشـكلات الآتية: ما معنى المطابقة بين القرآن والواقع؟ وما أهمية الموضـوع وأصـوله؟ وما أهمية توافر عالِم القرآن بأبعاد الواقع؟ وما الضـــوابط الواجب توافرها لمن تصـــدر للمطابقة والاجتهاد؟ كيف كان هدي النبي ﷺ وعلماء التفسير في إنزال الآيات على واقعها؟ وما هي أسباب الانحراف وسوء المطابقة بين حكم الآية وواقعها المناسب؟

---

(١)الكُسْبُ بالضم: عُصارة الدُهْن. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ت ٦٦٦هـ)١/٥٨٦، تحقيق: محمود خاطر.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تأصـــيل علم ومهارة المطابقة بين القرآن والواقع، وبيان أهم الضـــوابط الواجب توافرها فيمن يجتهد ويطابق بين حكم آية قرآنية وواقع معيش، وبيّن الباحث عواقب الإهمال والتهاون في حصـــر الاهتمام بأحدهما دون الآخر، مبيناً أسباب الانحراف الذي وقع فيه بعضهم، وأثره في الضلال ورفض الآخر.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في تقعيد وتأصـيل موضـوع المطابقة بين القرآن والواقع، وخطورة الفصـام بين العلم بالقرآن والواقع المحدث لمن يجتهد للمطابقة بينهما.

منهجية البحث

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي والمنهج الاستقصائي والمنهج التحليلي؛ مستقصياً وواصفاً ما استطاع من أمثلة ومحللاً لها، وتعييرها بالضوابط المعتمدة.

الدراسات السابقة :

لأهمية الموضـوع فقد كُتبت فيه الكثير من الدراسـات، وهي على **قسـمين: دراسـات غير مباشـرة:** وهي ما تحدثت عن فقه الواقع بمعناه وبعده العام في ترشيد التدين وفقهه، وضبط الدعوة، ككتاب" في فقه التدين فهما وتنـزيلا" للدكتور عبد المجيد النجار وهو من منشـورات المعهد العالمي للفكر الإسـلامي، طبعته مجلة الأمة برقم ٢٢، عام ١٤١٠هـ، وبحث: " أثر الواقع في التفسير " د عماد حمتو، من منشورات مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات،عدد٨، يناير٢٠١٥. وكانت على وجاهتها قاصـرة غطت جزءاً ضـئيلاً من احتياجات العنوان ورحاباته، وبحث:" أثر الواقع في اختلاف فهم النص القرآني عند المفسـرين، إفسادا بني إسرائيل في سورة الإسراء أنموذجاً" د جهاد نصيرات ، لكنّ البحث قصر الدراسة على موضوع إفساد بني إسرائيل، الجامعة الأردنية/ كلية الشريعة تشرين الثاني ٢٠٠٨م ، وبحث

" تنزيل الآيات على الواقع لابن القيم "، بحث قدمه د يحيى زمزمي، مجلة البحوث والدراســـات القرآنية، عدد٤، ســـنة ٢،١٤٢٩هـ. ومع أهمية البحث لكنه انحصر في تطبيقات ابن القيم على واقعه وزمانه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

أما الدراسات السابقة المباشرة: فهي رسالة دكتوراة للباحث الدكتور: عبد العزيز الضامر بعنوان:" تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين ، دراسة وتطبيق" وقد طبعت الرسالة وحازت على جائزة دبي للدراسات القرآنية، وطبعتها الجائزة في العام ٢٠٠٧م، ومع عمق الدراسة وأهميتها إلا أنها افتقرت للبعد الواقعي، وسوادها الأكبر على تطبيقات المفسرين وخاصة القدماء منهم، وعرض لحياتهم ومناهجهم؛ فكانت الدراسة شبه محصورة بواقع مضى وزمن انقضى.

وما اختلفت عنه دراستي هذه أنها- على أغلبها- قد تناولت الواقع المعيش، وعكست أمثلةً لواقع الناس المعاصر، وعالجت قضايا حاضرةً، لا زالت متقدة، لما يبيضّ دخانها.

ويلاحظ أن الدراسات السابقة ركزت على دراسة حكم المخدرات من حيث التعاطي والتهريب والترويج والصناعة أو على الاتفاقيات الدولية والعربية والخليجية لمكافحة هذه المشكلة أو تحدثت عن البعد الاجتماعي وآثاره، بينما تركز الدراسة الحالية على الإدمان وأحكامه في جانب الأسرة وآثاره على الفرد والأسرة والمجتمع والوسائل الوقائية والعلاجية لهذه الظاهرة وعلى تجربة المملكة العربية في علاج المدمنين .

حدود البحث:

التزم الباحث في دراسته على التطبيقات القرآنية وضوابطها، وتطبيقاتها الواقعية في الأغلب.

خطة البحث:

جاءت الدراسة في مبحثين وتسعة مطالب وفق الآتي:

المبحث الأول: المطابقة بين القرآن والواقع دراسة تأصيلية

المطلب الأول: تحرير المصطلحات.

المطلب الثاني : التفسير بالقياس.

المطلب الثالث: هدي النبي ﷺ في المطابقة بين القرآن والواقع.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

المطلب الرابع : ضوابط مطابقة الآية للواقع.

المطلب الخامس: نماذج منضبطة من تطبيقات المفسرين على واقعهم.

المبحث الثاني: الانحراف في المطابقة بين القرآن والواقع أسبابه ومظاهره.

تمهيد: مراعاة القرآن الكريم لأحوال الناس.

المطلب الأول: التأثر بالواقع الفكري والاجتماعي.

المطلب الثاني: التأثر بالواقع السياسي والمذهبي.

المطلب الثالث: التأثر بالمناهج الدخيلة.

المطلب الرابع: استدلالات شعبية.

ثم كانت الخاتمة: فيها نتائج الدراسة، وأهم التوصيات.

أسأل الله أن تكون هذه الدراسة إضافةً مهمة في المكتبة الإسلامية، كاشفةً للخلل الظاهر وباؤه، وأن تكون عاملاً من عوامل رفعة ونهوض هذه الأمة، هو القادر، وهو الفعال لما يريد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

المبحث الأول: المطابقة بين القرآن والواقع دراسة تأصيلية

لابد لعالم التفسير من توافر دراسةٍ شاملةٍ ومفصلة وعميقة لجوانب هذا الكتاب الكريم، وهذه القاعدة منطلق في فهم أي نصٍّ فهماً صحيحاً، فلا يجوز أن نطيلَ الوقوفَ أمام جملة منه ونستنبط منه أحكاماً ونغض بصرنا ونغلق فكرنا عن الجمل الأخرى(٢) " والذين يرغبون في دراسته على نهجٍ قويم عليهم أن يستوعبوا قراءته في ختمتين؛ لمجرد أن يلمع أمامهم نظامه للعقيدة ومنهجه العام، كما عليهم أن يحاولوا خلال الدراسة الأولية تحقيق النظرة الإجمالية في مشاهد القرآن عامة "(٣)ويلزم منه أيضاً فهم الواقع النازل وإدراك أبعاده وأغواره، ولا يأخذه ظاهرٌ زائف ونظرٌ حائف؛ " فجُزْءٌ من المسئوليةِ يقعُ على عاتِقِ كثيرٍ من المفسِّرينَ الذين غَفَلُوا عن واقع الأمة؛ فلم يعيشوا همومها، ولم يستحضروا في كتاباتهم مقاصدَ القرآنِ ومطالبَ الأمة"(٤).

المطلب الأول: تحرير المصطلحات: يلزمنا قبل خوض غمار هذه الدراسة ودخول لجتها تحرير دلالات العنوان ومرادفاته؛ فقد استخدم الباحث كلمة المطابقة، في حين استخدم غيره كلمة التنزيل؛ وكلمة المطابقة هي مصطلح درج عليه جملةٌ من العلماء، في حين درج كثير من العلماء على استخدام لفظة تنزيل، وسيبين الباحث معنى التنزيل والمطابقة معاً.

أولاً: المطابقة: انقطع الوحي ولم تنقطع أحداث هذه الدنيا، ومن كمال التوفيق على العالِم أن يتطابق حسن فهمه لحكم الله في الواقعة النازلة؛ فحكم الله لا يكاد يجرؤ على القطع به أحد، لذلك قلت: فهمه لحكم الله؛ فالعالِم مجتهد في حسن الفهم لأحسن تطابق مع هذا الفهم.

المطابقة: مصدر طَابَقَ، أي وافق، قال الرّاغِب: "المطابَقَة: من الأسْماءِ المتضايِفَة؛ وهو أن يُجعَلَ الشّيءُ فوقَ آخر بقَدْره"(٥)

---

(٢)د محمد لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير، ٢٤٤ .
(٣)مبادئ أساسية في فهم القرآن لأبي الأعلى المودودي (ت ١٣٩٩ هـ) ٤٩.
(٤)د. أحمد الشرقاوي، نحو منهج أمثل لتفسير القرآن، ٥ بتصرف.
(٥)الراغب الأصفهاني(٥٠٢ هـ) المفردات،٣٠١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

"وقال ابن الأعرابي: المطابقة أن يضع الفرسُ رجله في موضع يده؛ وهو الأحق من الخيل"[٦]. لذلك كان من أنواع الدلالات دلالة المطابقة[٧] " سميت بذلك لمطابقة الدال المدلول"[٨]، فالمطابقة هي التوفيق الصحيح- بالاجتهاد الصحيح- بين الآية القرآنية وما يلائمها من واقع استجد، غايةً ومقصداً؛ فليس كل توفيق حاز توفيقاً في المطابقة؛ فرب تطابق كان إلحاداً وجنفاً، بل ربما كان إثماً وتحسراً.

ثانياً: التنزيل: قال ابن فارس:" (ن. ز . ل) كلمة صحيحة تدلّ على هبوط شيء ووقوعه. يقولون: نزل عن دابّته، نزل المطر من السماء نزولاً "[٩] وما إلى ذلك.

أما التنزيل في الاصطلاح: فقد عرفه يحي زمزمي ب" مقابلة الأحداث المعاصرة في زمن المفسِّر، وإدخالها فيما يناسبها من الآيات القرآنية"[١٠]، ويقصد بالإدخال الربط؛ أي ربطها بما يناسبها من آية؛ فهو التوفيق بين الآية القرآنية وما تنطبق عليه في الواقع المعيش والنازلة الحادثة؛ وقولي: التوفيق: هو بمعنى السداد والنجاح لما فيه من موافقة المقصود والمطلوب؛ ويلزم من هذا: أن يحسن المنزِّل والموفق فهم الآية القرآنية وسياقها وعلاقتها بهدي القرآن وغاياته.

الفرق بين التطبيق والتنزيل: يستخدم بعض العلماء مصطلح تطبيق الآيات على الواقع بدلاً من استخدام تنزيل" إلا أنّ المعاصرين قد استخدموا في تفاسيرهم مصطلح التطبيق أمثال رشيد رضا وابن باديس وشلتوت وسيد قطب وغيرهم.. والتعبير الأول أولى[١١] لأنه يحمل معنى التطبيق، ولأنه يوحي بأنّ آيات القرآن حية متجددة تنزل في كل وقت وحين لمعالجة الوقائع

---

(٦)محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة، طبق، ١٧٩/٣.

(٧)للفائدة: ومن قسيماتها دلالة التضمين ودلالة الالتزام، انظر أيوب بن موسى الكفوي، (١٠٩٤هـ) الكليات ٦٩٠.

(٨)المرجع السابق ص٦٩٠.

(٩)أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة ٥: ٤١٧، وانظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٠هـ)العين ٧: ٣٤٧؛ ومحمد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ) لسان العرب ١٤: ١١١.

(١٠)د يحي زمزمي، تنزيل الآيات على الواقع عند ابن القيم، ص٢٥، .

(١١)ليس هذا رأي الباحث، بل رأي د الضامر.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

والأحداث عبر مر العصـــور، ولأن لفظ التنزيل يعطي الرفعة للآيات"[١٢] قلت: ابن القيم اســـتخدم كلمة تطبيق كثيراً في كتبه[١٣]، ويتجه الباحث لاعتماد لفظة التطابق لما لها من إيحاءات تتواءم مع مقاصـــد القرآن وغاياته، مع إقراره للفظة التنزيل بأنها مرحلة تلحق المطابقة وتتبعها؛ فمن أحســـن وأجاد في تطابق الآية مع واقعها ســـهل إنزالها وحملها عليه. وهذا من أخص خصائص القرآن الكريم؛ وهي واقعيته المتوافقة مع خاتمية الرسالة، الواقعية المتواكبة مع كل عصر ومصر بلا حصر؛ الواقعية في التشريع والعقيدة، الواقعية في الفكر والثقافة والعمل والدعوة؛ ولولا هذه الواقعية لاندرست تشريعاته وتلاشت أفكاره.

المطلب الثاني: التفســير بالقياس: يبدأ ســلم التطرف والإرهاب بحمل آيةٍ- قيلت وحُملت على واقعة ماضــية- على واقع جديد ونازلة حادثة، ظنها بادو الرأي تحمل نفس الحكم والنتيجة[١٤]، فقاسوا وحكموا وطابقوا وأنزلوه على الواقع الغلط؛ فالتفســير بالقياس هو أن يحمل المعلوم الباطن من الآية النازلة بواقع ماضٍ، على المعلوم الظاهر من الآية بواقع جديد، لمســاواة الباطن مع الظاهر، عند العالم بهما وبواقعهما[١٥] ؛ وهو دِســار الموضــوع وعمدته، الدِّســار[١٦] الذي به نجمع شــتات وأصــل تكوّن هذه الظاهرة؛ وهو في أصــلها محمود، ولكنه في تداعياتها يكمن الســداد أو الجنوح والزيغ والشــرود[١٧] . قال ابن القيم رحمه الله : " وتفسـير الناس يحاور على ثلاثة أصـول: تفسـير على اللفظ: وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسـيرٌ على المعنى وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم؛ وهذا لابأس به بأربعة شــرائط: أن لا يناقض معنى الآية، وأن يكون معنىً صــحيحاً في نفســه، وأن يكون في اللفظ إشــعارٌ به، وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً "[١٨].

---

(١٢)د عبد العزيز الضامر، تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، ص٢٨.

(١٣)سأضرب على ذلك بأمثلة في حينه.

(١٤)حكم الله لا يتغير ولكن الواقع تغير.

(١٥)مظاهرة لتعريف السبكي للقياس، عبد الوهاب بن علي(ت ٧٧١ هـ) جمع الجوامع : ٢ /٢٠٢.

(١٦)الدسار الأولى : المسمار أما الثانية فهو الحبل .

(١٧)لم أقصد السجع بل إنّ ضد السداد هو الجنوح والزيغ والشرود.

(١٨)محمد بن أبي بكر ابن القيم(ت٧٥١ هـ)، التبيان في أقسام القرآن، ص٤٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

وشاهِدُنا في كلام ابن القيم هو النوع الثالث، وهو أن يقيس حدثاً على حدث بنفس الآية استشهاداً واستنباطاً، وعليه مدار البحث والدراسة بتفصيلاتها وطياتها القادمة، وهو مخاض خاضه من ليس له أهل، ممن امتهن الوعظ وهرف بغير العلم؛ كمن أخذوا طريقَ الْعُنْصُلَيْن[١٩] وتحشَّأ من غير شبَع، وكالحادي وليس له بعير:" وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وغيرهما، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها فقال: ﴿ تر □ □ تن تى تي □ ﴾ الأعراف: ٣٣ [٢٠].

وهذا هو الفرق بين الدليل والاستدلال به؛ فقد تلمع آية صريحة في عقل الحامل على التنزيل في نازلة ما؛ فإن كان عالماً حاذقاً بالآية والنازلة تريث وتأنى وتفحص وتعنى، وإن كان جاهلاً خفيفاً بادر وتعجل." كثيراً ما يستدلّ الإنسان بآية أو حديث، ولكنها لا تكون دليلاً له؛ لأنه لم يهتد إلى مدلولها"[٢١] .

المطلب الثالث: هدي النبي ﷺ في المطابقة بين القرآن والواقع: يتنوع تناول النبي ﷺ للآية القرآنية بين التفسير والبيان للمجمل أو التخصيص أو التقييد، أو التفاعل مع واقعة معينة و" أنّ النبي ﷺ استشهد بأجزاء من آيات لا بتلك الآيات كاملة حسب المناسبة، وجمع بعض الآيات مع ما يشابهها من الآيات، واستعمل بعض الآيات للوعظ، واستشهد ببعض الآيات لتذكير نفسه بما قاله الله تعالى في وضع معيَّن أو مكان معين"[٢٢] وليس ما نزل سبباً في حادثة معينة داخلاً في هذا المطلب؛ فهذا وحي نزل مسدداً لهذه الحادثة ، وهنا تكمن العقدة ؛ بأن يحسن المجتهد تنزيل الآية ومطابقتها بواقع جديد وعلة متفقة وقابلية للاستشهاد صالحة، ليطلق النص عن حدوده الضيقة إلى رحابة الأحداث وطلاقة الزمان. فكيف كان هديه في المطابقة والتنزيل على الواقع؟ وما هي حدود الاستشهاد بالآية أو القياس عليها؟:

أولاً: مطابقته الخلقية وتمثله بالقرآن: وهو ما أخبرت به أمنا عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلقه فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ "[٢٣]، وأينما التفت إلى هديه ﷺ ستجد قرآنا يتفاعل مع الكون ويتناسق؛ فقد تمثل التواضع من قوله عز وجل :﴿ □□

(١٩)طريقُ العنصلِ هو طريقٌ من اليمامة إلى البصرة. يضرب للرجل إذا ضَلَّ.

(٢٠)ابن القيم، إعلام الموقعين، ٣٨/١.

(٢١)محمد بن صالح ابن العثيمين (ت ١٤٢١ هـ) شرح نظم الورقات في أصول الفقه، ص ٥٠.

(٢٢)عصام الحميدان، الآيات القرآنية التي استشهد بها النبي، العدد ٦،١٤٢٩، ص ٤.

(٢٣)مسند الإمام أحمد، مسند النساء برقم ٢٥٣٠٢، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

□□ الحجر: ٨٨ُّتن تى تي□□□□ الشعراء: ٢١٥ ، فكان يجلس مع أصحابه كواحد منهم، بلا تمييز عمن حوله، حتى إنّ الغريب لا يفرق بينه وبين أصحابه، فكان يسأل: أيكم محمد؟"(٢٤).

وانظر إلى عدله ﷺ مطبقاً قول الله عز وجلّ: ُّلخ لم لى لي□□□□□□□□□□نم نى□ النساء: ١٣٥ ولما أتى بعض الصحابة يشفع عنده ﷺ حتى لا تقام العقوبة على امرأة لها مكانة في القبيلة قد سرقت قال ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"(٢٥). والأمثلة كثيرة جداً.

ثانياً: مطابقة مكان الآية: من هديه الاستشهاد بآية عند التلبس بمكانها؛ كما في حديث حجه، وفيه: " فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ ُّتى تي □ □ □ □ □□ ّ البقرة: ١٥٨ (أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ، فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ..)" (٢٦) وهذا يُقعِّدُ لجواز الاستشهاد من جانب، وعلى جواز الاقتطاع من الآية والاقتصار على جزء منها من جانب آخر(٢٧).

ثالثاً: مطابقة جمعية موضوعية: ومن هديه أنه يستشهد بأكثر من آية لتعزيز مفهوم وغاية، تشابهت في تدعيمه وتأييده هذه الآيات؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ" أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ُّأ ير □ □ ين □ □ □□ □ □ □ بج بح ّ المؤمنون: ٥١ وَقَالَ: ُّأ بن بى بي تر □ □ تن تى ّ البقرة: ١٧٢"(٢٨).

رابعاً: بيان مطابقة الآية لأكثر من معنى ودلالة: ومن هديه ﷺ الاستشهاد بالآية لبيان جواز تفسيرها ببعض معانيها الواقعية؛ فأسقط تفسير الآية على واقعه المعيش، ليطلق العقل في فضاءات المعنى وأبعاده؛ ليتناسب مع معطيات العصر؛ " قال عُقْبَةَ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: ُّأتهثم□جم□حمّ الأنفال: ٦٠ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرمي أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرمي أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرمي "(٢٩). في رحابة معنى القوة، لتشمل في عصرنا هذا: الدروع والطيران والصواريخ. وأنّ موازين القوة تقوم على

(٢٤)صحيح البخاري، ٦٢، كتاب العلم، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم.

(٢٥)صحيح البخاري، ٦٧٨٨، كتاب الجمعة، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان.

(٢٦)مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ) صحيح مسلم، ٣٠٠٩ ، باب حَجَّة النبي، ﷺ.

(٢٧)للتفصيل: د عصام الحميدان الآيات القرآنية التي استشهد بها النبي ص٢٨.

(٢٨)صحيح مسلم، ٢٣٩٣، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا.

(٢٩)مسلم، ٥٠٥٥، الإمارة، باب فَضْلِ الرمي وَالْحَثِّ عَلَيْهِ. د عصام الحميدان، الآيات القرآنية التي استشهد بها النبي ص٦٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

الرمي، كما نرى في عالمنا من صواريخ تقذف، ومن راجمات أرضية أو بحرية أو طائرات، وقذائف الدبابات، وأسلحة القناصة والمدافع الخفيفة والثقيلة والرشاشات.

خامساً: بيان مطابقة الآية لحال كثير من الناس: من هديه ﷺ الاستشهاد بالآية لبيان وتقرير حقيقة قرآنية عامة تشمل الإنسان، مسلماً كان أم كافراً ؛ فلا تقصر هذه الصفة على الكافر وحده، فقد" أخبر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلة فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مُولٍّ يضرب فخذه يقول: ﴿ ﴾ الكهف:٥٤"(٣٠) .

سادساً: مطابقة الآية لمقتضى العمل: ومن هديه ﷺ الاستشهاد بالآية للتطبيق العملي" عن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلاَثًا ثُمَّ قَالَ: ﴿ ﴾ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى .."(٣١).

المطلب الرابع: ضوابط مطابقة الآية للواقع(٣٢): بدايةً لا بد لنا من تقعيد مسألة مهمة عُرفت بالاستقراء والاستقصاء؛ أنّ هذا القرآن لا تتجلى لنا مقاصده ولا نقتبس من أنواره إلا بإدراكنا لتفاعله مع الواقع المعيش؛ ليعكس القرآن هديه ورحمته بحسب الواقع الموجود، لا تطويعاً للنص بل تنويعاً؛ ذلك أنّ هدايات القرآن متنوعة كتنوع الزمان والمكان والطبائع والبيئات والأحوال، فمرونة النص الشريف مرونةٌ واقعية، ومن هنا فإنّ الفقه بالواقع من مقتضيات فهم القرآن؛ فكيف يتطابق نص القرآن على واقع لا يمثله وحالة لا تقاربها، فالقرآن مرآة كل عصر؛ تقرأ فيه الواقع بمعيار القرآن لتستبين سبيل كسب الإنسان.

ومن أهم الضوابط المعتبرة لحسن تنزيل النص الصحيح على واقعه الصحيح:

أولاً: الوقوف على كل مؤثر يوجه البيئة المعيشة والواقع الحاضر: فبها يستطيع فقيه التنزيل أن يحسن مطابقة هذا المؤثر- أيّاً كان نوعه- مع النص الذي يتوافق معه؛ ولا أدلّ على ذلك من طبيعة مضمون ما نُجِّم ونزل في بداية الدعوة الإسلامية، وأطلق عليه: القرآن المكي بخصائصه، وما نزل بعد ذلك وأطلق عليه: القرآن المدنيّ، وكيف أفاض القرآن في موضوعات وحدّ من

(٣٠)صحيح البخاري ، ١١٢٧، كتاب العلم، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل.
(٣١)صحيح مسلم، ٣٣٣٩، الحج، باب مَا يَقُولُ إِذَا رَكِبَ إِلَى سَفَرٍ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ.
(٣٢)في المبحث الثاني تفصيل وتمثيل.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

أخرى؛ لمراعاة مقتضى أحوال الناس وحالهم؛ فمِن خطاب الشدة للقساة المستكبرين، إلى خطاب اللين للمنقادين والمطيعين، إن على صعيد الدعوة، أو العلاقات الاجتماعية، أو حتى التكاليف الشرعية " فتجد في مكيّ القرآن ألفاظاً شديدة القرع على المسامع، تقذف حروفها شرر الوعيد وألسنة العذاب، ..وحين تكونت الجماعة المؤمنة وامتُحنت في عقيدتها نرى الآيات المدنية تضع قواعد المجتمع، وتحدد روابط الأسرة وصلات الأفراد، وعلاقات الدول والأمم، كما تفضح المنافقين وتكشف دخيلتهم، وتجادل أهل الكتاب وتلجم أفواههم، وهذا هو الطابع العام للقرآن المدني"(٣٣).

وما أرسل الله من رسول ولا نبي إلا بمعالجة ما يستشري في عصره من وباء واقع ضرب جذور الاستقرار والهناء؛ وما كانت رسالات الأنبياء تتنزل للهداية العقدية- مع أنها الأساس- فحسب؛ بل كان كل رسول يحمل في ثنايا دعوته علاجاً لمرض اقتصاديّ أو سياسيّ أو اجتماعيّ؛ فكانت الرسالات تشخيصاً للواقع من جانب وعلاجاً له من جانب آخر" لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببخس المكيال والميزان، وقوم لوط باللواط؛ ودل هذا على أنّ المعاصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب"(٣٤).

وهنا تكمن عقدة براعة التنزيل والمطابقة على واقع الآية المناسب لها؛ فلا يكفي الوقوف على الآية ووعيها من غير الوقوف على أبعاد تناولاتها وآفاق تطبيقاتها؛ وإلا كان الفهم قاصراً، بل إلى الضلال مآله" لقد شهد التاريخ الإسلامي العديد من حركات التغيير، وهي حركات ومذاهب لا ينقصها- في أغلب الأحوال- الإخلاص في القصد، والبناء على أصول من الحق النظري، ولكن أكثر ما كان يأتيها من فشل في النتائج، أو ضمور فيها، كان يأتيها من قصور في معرفة الواقع، الذي تهدف إلى إصلاحه، وفي امتلاك تصور عميق لطبيعته، ولعناصر تكوينه، وعوامل تفاعلاته. فإذا ما اتجهت الإرادة إلى الإصلاح، مع هذا القصور، ارتدت في كثير من الأحيان بالخسران والفشل.. وعلى هذا الاعتبار، يغدو فهم الواقع عاملاً بالغ الأهمية في التغيير"(٣٥) " فنوعان

(٣٣)مناع خليل القطان (ت١٤٢٠ هـ) بتصرف من مباحث في علوم القرآن، ص٥٠.
(٣٤)محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن، ٩٨/٩.
(٣٥)صالح شيخو، تأملات في آية التغيير، مجلة الحوار، ٤ يناير ٢٠١٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

من الفقه لابد للحاكم منهما: فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس"[٣٦]. ومما يجب وضعه في الحسبان أنّ فهم الواقع لا يعني بحال التنازل أو المساومة على حكم شرعي ثابت الدلالة؛ فهذا انحراف وإلحاد بدين الله وثوابته.

ولا يخدعنا في هذا المضمار من روّج عن سيدنا عمر رضي الله عنه بأنه فعل ذلك فقالوا:" حتى تلك الأحكام القرآنية التي كانت في عهد الرسول ﷺ ملزمةً، جرؤ الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أن يوقف تطبيق بعضها أو يلغيه إلغاءً تاماً؛ حين رأى أنّ تغير الأحوال في عصره لا يجعلها صالحةً للتطبيق، ولا يجعلها مؤديةً إلى تحقيق الغايات السامية التي نصبها القرآن"[٣٧] ويقصدون بذلك حكم حد السرقة الوارد في آية محكمة هي قوله تعالى: ﴿ٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ المائدة: ٣٨ في عام المجاعة؛ ولم يعلق سيدنا عمر رضي الله عنه حكم الآية ولم يلغه؛ بل راعى واقع الحكم وأبعاده بضابط ذكاء التطبيق ووعي الحاكم؛ فالحقيقة المغيّبة بأنّ واقع تطبيق الحكم والآية لم تكتمل شروطه، لا أنّ سيدنا عمر رضي الله عنه قد أوقف حكم آية محكمة أو ألغاه.

ويحاول الدكتور بوعود الدفاع وتوضيح هذه المسألة بنصف الحقيقة حين قال:" فلم يكن فعله ناشئاً من تطور الأمة إلى حالة تستدعي وضع أحكام جديدة تلغي النصوص وتحل محلها، بل نشأ من عدم تحقق شروط العمل بتلك النصوص[٣٨] أو هو من قبيل استثناء جزئيات من النص العام لمصلحة شرعية عارضة"[٣٩]. أما أنّ الشروط لم تكتمل فحق هو، وأما كلامه عن الاستثناء فمحل تحفظ، ولعله يقصد ما أصّله الشاطبي بقوله:" الأخذ بمصلحة جزئية في مقابلة دليل كلّي، ومقتضاه الرجوع إلى تقديم الاستدلال المرسل على القياس"[٤٠]؛ بأن يُستثنى وضع خاص أو نازلة معينة من الحكم الذي ينطبق عليها، لدرء مفسدة تحصل بإجرائه عليها وجلب مصلحة بذلك الاستثناء؛ وقد عدّ صنيع عمر رضي الله عنه في تأجيل حدّ السرقة عام المجاعة عملاً بالاستحسان. [٤١] فليس فعل عمر رضي الله عنه استحساناً ألبتة؛ ولم يؤجل حكماً واجب الحال وحاشاه؛ فليس هناك واقع

(٣٦)ابن القيم، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص٣.

(٣٧)انظر : أحمد بو عود، فقه الواقع أصول وضوابط، ص٨٤.

(٣٨)كلامه إلى هنا صائب متوافق مع الأصول والضوابط.

(٣٩)أحمد بو عود، فقه الواقع أصول وضوابط، نقلاً عن: علي حسب الله، أصول التشريع الإسلامي ص٨٩ ، وانظر: د أديب الضمور، فقه الإصلاح والتغيير السياسي، ص١٦٦.

(٤٠)إبراهيم بن موسى الشاطبي(٧٩٠ هـ)، الموافقات، ٥ /١٩٤.

(٤١)في فقه التدين فهما وتنزيلا ،عبد المجيد النجار، ٤٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

تحقق لتنزيل النص، فلا استحسان ولا تأجيل، ولا توقيف ولا تعليق، وليت د. بوعود اكتفى بقوله" وقد التبس على كثير من الناس أمر الاجتهاد وفقه التنزيل حتى قالوا: بإمكان الاجتهاد مع وجود النص كما في اجتهادات عمر؛ والحقيقة أنّ فعل عمر كان في فقه تنزيل النصوص على الواقع"(٤٢) لَتَحقَّقَ الحقُّ، ولتأصلت المسألة.

ثانياً : النظرة الشاملة والعميقة لغايات القرآن ومقاصده في هداياته: ومن الضوابط المهمة في حسن المطابقة أن يتوفر المجتهد على نظر عميق- وبأعلى المعايير- للقرآن؛ إن على مستوى الآية الواحدة- تحليلاً دقيقاً وفهماً عميقاً- أو على موضوعها المبثوث في القرآن، وما يتصل به من فهوم قريبة، وما يحتملها من شبهات وتأويلات؛ فيجب الوقوف على مقاصد القرآن وسننه وأحكامه وحكمه وأهدافه القريبة منها والبعيدة، وترتيب أولوياته كما رتبها الله وإن بدا لنا غير ذلك. وما كان لهذا الضابط من اهتمام فهو مأخوذ من دلالة الوعيد الشديد لمن تقوّل على الله بغير علم وتريُّث في الإعداد ﴿ٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ الأعراف: ٣٣ فجعل التقوُّل على الله أشد منزلة من الشرك، وثرّب عليهم هذا الشنيع من الفعل، كما قال الطبري: " لا تعلمون أنّ الله حرّمه، أو أمر به، أو أباحه، فتضيفوا إلى الله تحريمه وحَظْره والأمر به"(٤٣). وهذا الضابط لا فكاك له عن الضابط قبله؛ فكيف يتسنى لفقيه التنزيل مطابقة الحكم للواقع وهو لا يحسن قراءة الحكم أصلاً، وكيف سينزل حكم الآية على واقع مجهول أو موهوم؟ فثمة تلازمات ثلاث لا تنفك ألبتة عن بعضها: نص ينزل، وواقعة حادثة، وعملية التطابق والتنزيل؛ وهي التي عليها الاعتماد وفيها الزلل أو الارتياد. ﴿لِيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ التوبة: ١٢٢ والتفقه من التفعل وصيغة تَفعَّلَ: لها عدة معان(٤٤) تدل على أنّ المتفقه وجب عليه الاجتهاد، وتكلف ذلك، واتخاذه صنعة واحترافاً، ويتجنب ما فيه الزيغ والنقص منه. ".. وفي هذا إيماءٌ إلى أنّ فهم الدين أمر دقيق المسلك لا يحصل بسهولة، ولذا جزم العلماء أنّ الفقه أفضل العلوم "(٤٥).

ويلحق بهذا الضابط ويتخرج عليه ضابط مهم، لطالما زلت فيه أقدام، ما كان ينبغي لها أن تزل وهو :

---

(٤٢)أحمد بوعود، الاجتهاد بين حقائق التاريخ وفقه الواقع ١٠، ماهر حصوة، فقه الواقع وأثره على الاجتهاد، ص٣٠.

(٤٣)محمد بن جرير الطبري(٣١٠ هـ)، جامع البيان،١٢ /٤٠٤.

(٤٤)سعيد بن محمد المعافري توفي بعد (٤٠٠ هـ)، كتاب الأفعال، جميع الكتاب.

(٤٥)محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣ هـ) التحرير والتنوير، ٤٠٤/٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

ثالثاً: التأني في الحكم والتنزيل: وهو خلاف طبيعة الإنسان وعجيب تكوينه ﴿ الأنبياء: ٣٧ ويغفل الإنسان عن نعمة عظيمة؛ هي التأني، وأخذه حق الوقت، ويقع بشباك العجلة والتسرّع، ويفوته حقه في التروي، فيضيع حقه ويفقد مراده، فيتعثر نادماً، ولات ساعة مندم. ودور الإنسان مجاهدة هذا الطبع والتريث فيما ينبغي به التريث(٤٦)، فلم يسلم منها حتى الأنبياء؛ كعجلة نبيّ الله موسى(٤٧) وعجلة نبيّ الله يوسف(٤٨) ، بل وحتى مسارعة رسول الله محمد ﷺ في تلقي القرآن خوفًا من نسيانه ﴿ القيامة: ١٦ ذلك أنّ " الرافق لا يكاد يُسْبَق، كما أنّ العَجِل لا يكاد يَلْحَق.. وكانت العرب تُكْني العجلة أم الندامات"(٤٩) . ويعدّ تروي عمر رضي الله عنه في توزيع أرض السواد أنصع ما يمثل به؛ حين طلب مهلةً قبل توزيعها، حتى فتح الله عليه بقوله تعالى: ﴿ الحشر: ١٠ (٥٠).

وقال:" أما والذي نفسي بيده لولا أن أترك آخر الناس بباناً ليس لهم شيء ما فتحت عليّ قرية إلا قسمتها كما قسم النبي ﷺ خيبر؛ ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها." (٥١) ومن التأني في ذلك عدم التكلف في تحميل النص ما لا يحتمل، ومحاولة حمل الآية بما لا تطيقه، تحت نية صلاحية القرآن لكل زمان ومكان، وتحت زعم احتوائه كل شيء.

---

(٤٦)فقد يحمد الاستعجال أحياناً؛ كالاستعجال في الخير والتوبة ورد الحقوق والديون.

(٤٧)الآيات ٨٣-٨٤ سورة طه، قال رسول الله ﷺ:" رحم الله موسى؛ لو لم يعجل لقصَّ من حديثه غير الذي قصَّ" مستدرك الحاكم، كتاب التفسير، تَفْسِيرُ سُورَةِ طَهْ ، رقم ٣٤٣٥، ٤٠٤/٢، تعليق الذهبي: صحيح على شرط الشيخين.

(٤٨)قال رسول الله ﷺ: ((رحم الله يوسفَ؛ لولا الكلمةُ التي قالها: ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ما لبث في السجن ما لبث.." صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب بد الخلق، رقم ٦٢٠٦، ٨٦/١٤، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

(٤٩)محمد بن حبان البستي(ت٣٥٤هـ) ، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٢١٦.

(٥٠)أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة ،باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال ٢٩٦٦، وصحح الرواية الشيخ الألباني، انظر صحيح وضعيف سنن أبي داود، ٢٩٦٦ .

(٥١)البخاري في صحيحه، باب غزوة خيبر ، ٤٢٣٥. بن سلام، كتاب الأموال، ص٧٧. والبيان :" بفتح الباء الموحدة الأولى وتشديد الثانية وبالنون معناه شيئا واحداً... قال الطبري: المعنى: لولا أن أتركهم فقراء معدمين لا شيء لهم، أي متساويين في الفقر" تركتها كالخزانة لهم يقتسمونها: كل وقت إلى يوم القيامة وغرضه أني لا أقسمها على الغانمين كما قسم رسول الله نظرا إلى المصلحة العامة للمسلمين" بدر الدين العيني(٨٥٥هـ) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري،٢٥٥/١٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ – 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

رابعاً: عدم الخوض في دوائر الغيب: كما لا يكون تنزيل الواقع في أمور الساعة والغيبيات التي هي في علم الله تعالى، كتحديد أوقات الملاحم، وقيام الساعة، وظهور المسيح الدجال؛ لأنّ زمن حدوث تلك من الغيبيات التي هي من اختصاص الله تعالى ٱ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه □ هم □ ٓ **لقمان: ٣٤**. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: بينما أنا والنبي ﷺ خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدة المسجد فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال النبي ﷺ: ما أعددت لها! فكأن الرجل استكان ثم قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبير صيام ولا صلاة ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت"(٥٢) قال ابن حجر: " قال الكرماني سلك مع السائل أسلوب الحكيم وهو تلقى السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم"(٥٣).

هذه أهم الضوابط الواجب مراعاتها للمجتهد في تنزيل الآيات على واقعها، والذي أسسنا وقعّدنا من خلاله أنَّ فقه التنزيل يستلزم منه الوعي التام بالواقعِ لبيان حكم " حيال زمن يتغير، وواقع يتبدل باستمرار، وإلا سيكتشف أنه قد توقف في إحدى محطات الماضي في الحكم على واقعه، وأنّ تصرفاته بعيدةٌ كل البعد عن الزمن الذي يحيا فيه العالم"(٥٤).

المطلب الخامس: نماذج منضبطة من تطبيقات المفسرين على واقعهم: وهي الغاية الأولى والقصوى لكل من فسر القرآن؛ وهي دعوة الناس لتعيير حياتهم ومماتهم ودنياهم وآخرتهم بمعايير القرآن وهديه، وأنّ أسباب السعادة في هديه، وجلاء مشكلاتهم في الرحمة المبثوثة فيه، وقد كان من سنة أهل التفسير والقرآن الحث على تذكير الناس بكل مناسبة على توأمة حياة الناس بالقرآن وهديه علماً وعملاً. وهي مهمة جليلة ليست بالسهلة واليسيرة؛ فتحتاج هذه المهمة الرفيعة لصفات وضوابط سبق الإشارة لأهمها؛ وإلا فمن أساء التوفيق بين النص الشريف وواقعه المناسب له من غير تأهيل وإخلاص فقد ألحد في النص وحرفه عن مساره(٥٥) . فكانت كتب التفسير عاكسةً لكل مرحلة تتعرض فيها الأمة من معضلات؛ فقد خاض الطبري في تفسيره "جامع البيان " معركة التدوين، لنجد الرازي يعكس في تفسيره ملاحم فكرية وعقلية بين الإسلام حضارةً وفكراً من جهة والأمم الأخرى بثقافاتها من جهة أخرى، وهكذا التفسير الكبير لابن تيمية الذي يعكس فكر أمة عانت من كيد المغول نهشاً

(٥٢)صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب القضاء والفتيا في الطريق، رقم ٧١٥٣.

(٥٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ٥٦٠/١٠.

(٥٤)د محمد بدري، نحو مجتمع الحرية، ص١٢.

(٥٥)انظر د. عبدالله عباس: اثر الواقع السياسي والفكري في انحراف التفسير القرآني.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

وضياعاً. حتى وصل الأمر لتنعكس ثقافة العصر على التفسير؛ كتفسير الشوكاني في عصر التقليد وغربة الاجتهاد، فوضع تفسيره فتح القدير. ثم جاء العصر الحديث فظهر التفسير بألوان تعكس الانفجار الثقافي والتقني والتغريبي في هذا العصر، فظهر التفسير العلمي والأدبي والاجتماعي والمذهبي بل حتى الإلحادي(٥٦) ؛ وتنوُّعُ هذه الألوان والاتجاهات يعكس الواقع الجديد بتشعباته الانفتاحية غير المحدودة. وسأضرب بعض الأمثلة على نماذج ناجحة لتطبيقات واقعية، لأفرد في المبحث القادم نماذج وتطبيقات منحرفة:

أولاً: ابن عطية في المحرر الوجيز: يقول معلقاً على قوله تعالى: ﴿□□نم نى□□□﴾ النساء: ٤٦ " وهذا الليُّ باللسان إلى خلاف ما في القلب موجود حتى الآن في بني إسرائيل ويحفظ منه في عصرنا أمثلة إلا أنه لا يليق ذكرها بهذا الكتاب"(٥٧).

ثانياً: ابن العربي في أحكام القرآن: يقول بعد قوله تعالى:﴿□□بيبتر□□تنتىتي□□□﴾ النساء: ٣٥ "وهي من الآيات الأصول في الشريعة، ولم نجد لها في بلادنا أثراً. فلا بكتاب الله تعالى ائتمروا، ولا بالأقيسة اجتزوا، وقد ندبت إلى ذلك فما أجابني إلى بعث الحكمين عند الشقاق إلا قاض واحد، ولا إلى القضاء باليمين مع الشاهد إلا قاض آخر"(٥٨).

ثالثاً: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: يقول بعد قوله الله تعالى:﴿□□□□□□﴾ الشعراء:١٣٠" وهذه الأوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الأمة، لا سيما بالديار
المصرية منذ وليتها البحرية(٥٩) ؛ فيبطشون بالناس بالسوط والعصا في غير حق"(٦٠) .

---

(٥٦)انظر موسوعة د فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، ١٢٩٣ وما بعدها. قلت: لا يوجد بين مناهج المفسرين ما يعرف بالتفسير الإلحادي، ما يفرض علينا التخلي عن عده نوعاً من أنواع التفسير.

(٥٧)عبد الحق بن غالب ابن عطية(ت٥٤٢ هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٢/٧٦.

(٥٨)القاضي محمد ابن العربي(٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، ١/٢٩٨. وهو يندب لتطبيق حكم القرآن على الواقع، ويفهم منه أنه غير مطبق.

(٥٩)المماليك خليط من الأتراك والأوروبيين والروم والشراكسة، أتى بهم الأيوبيون لفرض الأمن في ممالك حكمهم. وهم على قسمين: القسم الأول: المماليك البحرية: أتباع الملك الصالح نجم الدين أيوب، اختار منهم فرقة للأسطول فسموا "الفرقة البحرية" والقسم الثاني: المماليك البرجية " شراكسة " اشتراهم السلطان قلاوون، وسموا بالمماليك البرجية لأنّ السلطان قلاوون أسكنهم في أبراج القلعة. المقريزي، باختصار وتصرف من السلوك لمعرفة دول الملوك، محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، ١٤١٨ – ١٩٩٧.

(٦٠)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٢٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ – 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

رابعاً: ابن كثير في تفسيره: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَحۡلَّ﴾ المائدة: ٥٠ " يعلق– رحمه الله– على الآية قائلاً: " ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحْكَم المشتمل على كل خير،..كما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن

ملكهم جنيكزخان(٦١)، الذي وضع لهم اليَساق"(٦٢) .

خامساً: السعدي في تفسيره: ﴿□□□□□□□□□□﴾ البقرة: ٢١٧ "وهذا الوصف عام لكل الكفار.. وخصوصا أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، الذين بذلوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبثوا الأطباء، وبنوا المدارس، لجذب الأمم إلى دينهم." (٦٣) . ويتأصل مما سبق أصل عظيم من هدي القرآن الكريم؛ وهو ضلالة فكرة الفصل بين القرآن والواقع، ﴿□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□﴾ سبأ: ٢٢: يقول ابن القيم عن هذه القرية:" والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن،(٦٤) ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم(٦٥) أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك"(٦٦).

المبحث الثاني: الانحراف في المطابقة بين القرآن والواقع أسبابه ومظاهره:

---

(٦١) (١١٦٥ – ١٢٢٧م) هو مؤسس الدولة المغولية، قتل من المسلمين وأثخن فيهم القتل، " بسط نفوذه على الصين شمالاً، وقد حمل غزاته من آسيا المركزية حتى آسيا الوسطى محطماً كل ما يمر به من البلاد الإسلامية، وكان من أبنائه تيمورلنك" د فؤاد الصياد، المغول في التاريخ، باختصار وتصرف، دار النهضة العربية، ١٩٨٠.

(٦٢)دستور شرائعهم، وهو كتابٌ مجموع من شرائع شتى، صارت في بنيه شرعاً متبعاً، إسماعيل بن عمر ابن كثير(٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم،١٣١/٣.

(٦٣)عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي(ت١٣٧٦ هـ) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ، ٩٧.

(٦٤)يضع يده على الجرح وسبب الداء وهو الفصل بين القرآن والواقع.

(٦٥)يقرر هنا رحمه الله أنّ هذا الاعتقاد بالفصل بين القرآن والواقع مستمر وسيستمر .

(٦٦)ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ص ٣٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

تمهيد: مراعاة القرآن الكريم لأحوال الناس: من ثوابت وكليات القرآن الكريم التيسير على الناس ورفع العنت عنهم، وهدايتهم لما فيه صلاحهم دنيا وآخرة، وقد كان القرآن ولا زال رافعاً للمشقة جالباً للتيسير ﴿ طه: ٢ ، وعليه فإنّ القرآن الكريم قد راعى في تشريعه أحوال الناس وظروفهم، بواقعية بعيدةٍ عن المثاليات والنظريات. وقد قعّد الإمام الشاطبي رحمه الله لهذا الأمر فقال:" اقتضاء الأدلة للأحكام بالنسبة إلى محالها على وجهين: أحدهما: الاقتضاء الأصلي قبل طروء العوارض؛ وهو الواقع على المحل مجرداً عن التوابع والإضافات؛ كالحكم بإباحة الصيد والبيع والإجارة، وسن النكاح، وندب الصدقات غير الزكاة، وما أشبه ذلك. والثاني: الاقتضاء التبعيّ، وهو الواقع على المحل مع اعتبار التوابع والإضافات؛ كالحكم بإباحة النكاح لمن لا أرب له في النساء، ووجوبه على من خشي العنت، وكراهية الصيد لمن قصد فيه اللهو، وكراهية الصلاة لمن حضره الطعام أو لمن يدافع الأخبثان، وبالجملة كل ما اختلف حكمه الأصلي لاقتران أمر خارجي"(٦٧). فمراعاة الواقع بالأحكام الملائمة منهج أصيل في هذا القرآن العظيم، فآية ﴿ النساء: ٩٥" نزلت أولاً مقررةً لحكم أصلي منزل على مناط من القدرة وإمكان الامتثال؛ فلم يتنزل حكم أُولي الضررِ، ولما اشتبه ذوو الضرر ظُنّ أنّ عموم نفي الاستواء يستوي فيه ذو الضرر وغيره، فخاف من ذلك وسأل الرخصة؛ فنزل: "(٦٨) وقال تعالى:﴿ البقرة: ٢٣٨ تنزيلاً على المناط المعتاد، فلما عرض مناط آخر خارج عن المعتاد وهو المرض(٦٩) ؛ بيَّنه ﷺ بقوله وفعله حين جُحِش شِقُّه(٧٠)..والأمثلة في هذا المعنى لا تحصى." (٧١) ومنه التفريق بين القذف واللعان مراعاةً للواقع الشخصي والظرف الاجتماعي بين الزوجين. (٧٢) فما هي الدوافع التي جعلت البعض يخفق في التطابق، ويعزز التباين بين القرآن والواقع:

المطلب الأول: التأثر بالواقع الفكري والاجتماعي: يعلق ابن القيم على من تأثر بالفلسفة سلباً في تفسيره لقوله تعالى:﴿ النحل: ١٢٥" هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية، لا ما يزعم أسير منطق اليونان أنّ

(٦٧)الشاطبي، الموافقات، ٣٩٢/٣.

(٦٨)نفس المرجع، ٢٩٣/٣.

(٦٩)"إنما جعل الإمام ليؤتم به..." إلى أن قال: "وإذا قعد فاقعدوا، وصلى بهم قاعدا" انظر البخاري: ٧٣٣.

(٧٠)أي: انخدش جلده، وفي الحديث أنه سقط من فرس فجحش شقه. البخاري، باب إنما جعل الإمام ليؤتمّ به، ٦٨٩.

(٧١)الموافقات ٣/ ٢٩٦.

(٧٢)تفصيله، ماهر حصوة فقه التنزيل: معالم وضوابط ص ٤٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ – 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

الحكمة قياس البرهان، وهي دعوة الخواص، والموعظة الحسنة قياس الخطابة وهي دعوة العوام، والمجادلة بالتي هي احسن القياس الجدلي، وهو رد شغب المشاغب بقياس جدلي مسلم المقدمات، وهذا باطل؛ وهو مبنيّ على أصول الفلسفة، وهو مناف لأصول المسلمين وقواعد الدين من وجوه كثيرة، ليس هذا موضع ذكرها"(٧٣). وتتباين أسباب ودوافع هذا التأثر؛ كوقع العرف والنظرة السائدة على قضاياهم الاجتماعية والتربوية، وانظر إلى الإمام الرازي(٧٤)رحمه الله في تفسير ﴿ □ ﴾ الروم: ٢١ قوله: خَلَقَ لكم: دليل على أنّ النساء خلقن كخلق الدوابّ والنبات وغير ذلك من المنافع، كما ﴿ □ ﴾ البقرة: ٢٩ وهذا يقتضي أن لا تكون مخلوقةً للعبادة والتكليف، فنقول: خلق النساء من النعم علينا، وخلقهن لنا وتكليفهن لإتمام النعمة علينا، لا لتوجيه التكليف نحوهنّ مثل توجيهه إلينا، وذلك من حيث النقل والحكم والمعنى، أما النقل فهذا وغيره، وأما الحكم، فلأن المرأة لم تكلف بتكاليف كثيرة كما كلف الرجل بها، وأما المعنى فلأن المرأة ضعيفة الخلق سخيفة، فشابهت الصبي، لكنّ الصبي لم يكلف، فكان يناسب أن لا تؤهل المرأة للتكليف، لكن النعمة علينا ما كانت تتم إلا بتكليفهن لتخاف كل واحدة منهن من العذاب، فتنقاد للزوج وتمتنع عن المحرم، ولولا ذلك لظهر الفساد"(٧٥) " فقول الرازي وغيره من علماء أفاضل يعكس واقعاً وعرفاً سارياً في عصره وزمانه، كانت المرأة تعيش فيه حالة من الضعف، لم يسبق لها مثيل في عصور الرسالة والخلافة الراشدة مطلقاً"(٧٦). ولم يسلم الإمام الكبير ابن كثير من مس الواقع، حين عدّ المرأة من السفهاء، فقال: "والسفهاء: جمع سفيه، كما أنّ الحكماء جمع حكيم، والسفيه: هو الجاهل الضعيف الرّأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار؛ ولهذا سمى الله النساء والصبيان سفهاء: ﴿ تخ تم ته ثم □ جم □ حم □ ﴾ النساء: ٥(٧٧) ."على من يريد فهم هذا القرآن أن يتفكر في حكمة من أنزله ؛ فهو ليس نتاج المجتمع الثقافي وثقافة المجتمع الجاهلي، وإنما جاء بثقافة بديلة اقتلعت الثقافة الجاهلية من الجذور"(٧٨)، وفي قوله تعالى: ﴿ □ □ □ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي □ ﴾ الأنعام: ٩٧ نقل المفسرون أنّ قتادة كان يقول:" من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله سبحانه؛ إنّ الله جعلها زينةً للسماء

(٧٣)ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،١/ ١٥٤.
(٧٤)مع جلالة قدرة وسمو فكره إلا أنه تأثر بالواقع! فكيف بمن لا أهلية له.
(٧٥)محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) الرازي ، مفاتيح الغيب، ٢٥، ٩٣.
(٧٦)د. عماد حمتو، أثر الواقع في التفسير، ٢٢٦.
(٧٧)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم،١٨٢/١.
(٧٨)بتصرف: السيد حيدر علوى نجاد، فهم النص في سياقه التاريخي، ٦٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

ورجوماً للشياطين ويُهتدى بها في ظلمات البر والبحر"(٧٩) وذكر الشوكاني- رغم أنه من المتأخرين- بأنّ "من زعم غير هذه الفوائد فقد أعظم على الله الفرية"(٨٠) مع أنّ خاتمة الآية تعمم فوائدها وأبعاد خلقها ُ تن تى تي ّ وأنّ حصر غاياتها بما سبق فقط ظلم للآية وانهزام لآراء واقع اشتهرت فيه آراء الفلاسفة الذين رفعوا من شأن النجوم، لذلك بَعّد الإمام الرازي نظره قائلاً عنها:" أنها من الدلائل السماوية على وحدانية الله وألوهيته وربوبيته"(٨١). وحذف المفعول في قوله تعالى: تى تي ليدل على مطلق العلم، وما اكتشف حديثاً من فوائد جمة للنجوم على حياة الإنسان(٨٢) .

وممن تعامل مع الواقع وفهم أبعاده فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله؛ حين رفض تسمية المضلِّلين بالمبشرين؛ فقال- رحمه الله- بعد قوله تعالى: ُّ بى بي تر تن تى تي ّ البقرة: ٢١٣ " أنّ مَن يوصف بالتبشيرِ إنّما هم الرُّسُلُ وأتباعهم، وأمّا مَا تَسَمَّى بهِ دُعاة النصرانيةِ بكونهم مُبشِّرينَ فهم بذلكَ كاذبونَ، إلاَّ أن يُرادَ أنهم مُبشِّرُونَ بالعذابِ الأليمِ، كما قالَ- تعالى-: ُّ ّ آل عمران: ٢١ وأَحَقٌّ وَصفٍ، يُوصَفُ بهِ هؤلاءِ الدعاةُ أن يُوصَفُوا بالمضَلِّلِينَ، أو المنَصِّرينَ وما نظيرُ ذلكَ إلاَّ نظيرُ مَن اغتَرَّ بتسميةِ النصارى بالمسيحيينَ؛ لأنّ لازمَ ذلكَ أنّكَ أقرَرتَ أنهم يتبعونَ المسيحَ"(٨٣).

المطلب الثاني: التأثر بالواقع السياسي والمذهبي: للسياسة أثر في الواقع الإنساني الذي يعيشه المفسر؛ من خلال ممارستها تأثيرات في عقلية بعض المفسرين في توجيه النص القرآني" فإنه لما حدثت بدعة الفرق، والتطاحن المذهبي والتشاحن الطائفي، وأخذ أرباب المذاهب، وحاملو رايات الفرق المختلفة يتنافسون في العصبيات المذهبية والسياسية، وامتدت أنظارهم إلى القرآن، فأخذوا يوجِّهون العقول في فهمه وجهات تتفق وما يريدون، وبذلك تعددت وجهات النظر في القرآن، واختلفت مسالك الناس في فهمه وتفسيره، فكان منهم من عُني بتنزيل القرآن على مذهبه أو عقيدته الخاصة"(٨٤)." ومَنْ تأمل أحوالَ العالَم، رأى

(٧٩)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢، ١٣٩، والطبري، جامع البيان، ٢٩، ٤، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨، ٢١١، وتفسير الماوردي، ٣، ٤٠٥، وابن العربي، أحكام القرآن، ٣، ١١٤٨.

(٨٠)محمد بن علي الشوكاني(١٢٥٠هـ)، فتح القدير،٢، ١٤٣.

(٨١)الرازي، مفاتح الغيب، ١٩، ١٣٠

(٨٢) انظر موقع: م عبد الدايم الكحيل : http://www.kaheel7.com/ar.

(٨٣)تفسير سورة البقرة: ٣ / ٣٢، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(٨٤)محمود شلتوت(١٣٨٣ هـ)، تفسير الأجزاء العشرة الأولى، ص١٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ – 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

هذا كثيراً فيمن يُعينُ المستبدين على استبدادهم وإفسادهم، وفيمن يُعينُ أهلَ البِدَعِ على بِدعهم هَرَباً من عُقوبتهم"[٨٥]." ولعل أخطر الطوائف في تفسير القرآن تفسيراً مذهبياً أو سياسياً هم الرافضة، وقد توسعوا في ذلك، وصارت لهم تفاسير خاصة، وغالى البعض في هذا المجال مغالاةً سيئة"[٨٦] ويوضح جولدتسيهر أنّ تفسيرهم للقرآن يُمثل موقفاً سياسياً صرفاً من أهل السنة فيقول: "إنّ أعظم سخط الشيعة على مذهب أهل السنة يتركز في دائرة تفسير القرآن"[٨٧]. وسأضرب على ذلك بأمثلة من الشيعة والسنة على حد سواء :

أولاً: استحباب العتق لأهل المذهب فقط: ففي قوله تعالى:ُّ □ جم □ّ البلد: ١٣ لا يصح عتق عبد أو أمة خالف الاثني عشرية، فقالوا :"ويستحب عتق المؤمن مطلقاً، ويكره عتق المسلم المخالف.. لقول الصادق عليه السلام: " ما أغنى الله عن عتق أحدكم، تعتقون اليوم ويكون علينا غداً"[٨٨] يقول الآلوسي رحمه الله:" مع أنه لا دليل لهم على هذا لا من كتاب ولا من سنة، وما ذاك إلا محض عناد وجهل بالمراد؛ ألا ترى أنّ عتق العبد الكافر صحيح، فضلاً عن أن يكون له مذهب، وقد ثبت إيمان أهل السنة في كتبهم"[٨٩]

ثانياً: إثبات ولاية وإمامة علي ابن أبي طالب: ففي قوله تعالى:ُّ □ّ المائدة: ٥٥ ذُكر في تفسير هذه الآية حديث عن علي رضي الله عنه أنه كان راكعاً في الصلاة، فجاء فقير يسأل الصدقة، وقيل: يسأل الزكاة، فمدَّ عليّ يده وفيها خاتم، فأخذ الفقير الخاتم من يد علي رضي الله عنه فأنزل الله هذه الآية؛ قالوا: وما أعطى الزكاة وهو راكع إلا علي، فصار هو الولي، فهو الخليفة[٩٠]. وهم بذلك قد وقعوا في مغالطة منطقية كبيرة جداً وهي المصادرة على المطلوب؛

---

(٨٥)ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد٣/١٦.

(٨٦)خالد العك، أصول التفسير وقواعده، ص ٥.

(٨٧)اجنتس جولد تسهير (١٣٤٠ هـ) مذاهب التفسير الإسلامي ٣١٣.

(٨٨)زين الدين بن علي العاملي(ت٩٦٦هـ)، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الاسلام، ١٠، ٢٩٧، نقلاً عن الكافي ٦: ١٩٦ ح ٩، الوسائل.

(٨٩)محمود شكري الآلوسي(١٣٣٢هـ)، غرائب فقهية عند الشيعة الإمامية، ٧٢.

(٩٠)محمد باقر المجلسي(١١١١هـ)، بحار الأنوار، ٣٥ باب ٤، والطبطبائي(ت١٤٠٢هـ) في أكثر من عشرين صفحة يضلل من لا يشاركه عقيدته في علي، انظر الميزان في تفسير القرآن، سورة المائدة، الآية ٥٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ – 618 (صفر ١٤٤٠ ه / نوفمبر ٢٠١٨م)

د. فاتح حسني عبد الكريم

فقد افترضوا صحة الرواية وبنوا على هذا الفرض نتائج؛ فهذه القصة ليس لها سند صحيح(٩١) هذا أولاً، أما ثانياً: فلا دليل على خروج الكلمة عن الاستعمال القرآني، وهي الوَلاية- بفتح الواو- في الدين والمحبة والنصرة، وتخصيصها بالولاية العامة لا دليل عليه، ولو خصصناها لكان الله إماماً أيضاً! ثالثاً: فالعبرة بعموم اللفظ، فلو حمل سبب النزول على الآية لانطبقت هذه الشروط على الجميع، واستدلالهم السطحي يقتضي الصلاة والزكاة أثناء الركوع! " إنّ الأصل في الزكاة أو الصدقة أن يبدأ بها المزكي لا أن ينتظر حتى يأتيه الطالب، ثم إنّ علياً كان فقيراً ولم تجب عليه الزكاة في حياة النبي محمد ﷺ، والآية جاءت بلفظ الجمع وعلي واحد، ونحن وإن كنا نقول إنه يمكن أن يذكر الجمع ويراد به المفرد، إلا أنّ الأصل أنه إذا اطلق الجمع أُريد به الجمع إلا بقرينة، ولا قرينة هنا"(٩٢).

ثالثاً: حمل آيات مخصوصة على الحكام والأمراء: أنزل بعض المفسرين بعض الآيات القرآنية على واقعهم السياسي، وزعموا أنّها تتحدث عن النظام السياسي القائم في زمانهم؛ كموقف ابن جزيء الكلبي من بني أمية(٩٣)؛ فحين فسر قوله تعالى:"ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ" الإسراء: ٦٠ قال- رحمه الله بعد أن سرد الآراء في ماهية الرؤيا- :" وقيل: رأى في المنام- أي النبيّ ﷺ- أنّ بني أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك"(٩٤) ولم يعلق، وحتى لو أوردها بصيغة التمريض فكلامه بيّن التعريض. ولا ينكر أحدٌ الارتباط التلازمي بين القرآن والواقع؛ لكن الإنكار والمؤاخذة في تعيين أعيان معينين، والتأكيد على مطابقة الآيات عليها.

المطلب الثالث: التأثر بالمناهج الدخيلة: فقد ظهرت فئات من المسلمين أرخت عنان وعيها لمناهج غريبة عن نهج الدين وهديه؛ فأخذوا يطابقون بين هذه المناهج بثوبها الفضفاض على القرآن وهديه بثوبه المنضبط، فخرجت مُسوخ من الأحكام مائعة باسم التجديد والتطوير، ففرطوا بالثوابت واستهانوا بها، وفي المقابل ظهر من يعتقد بنفسه التمسك بهذه الثوابت، فغالى بها مفرطاً؛ فذُبحت الحقيقة في مذبح التفريط، وسُلخت على مسلخ الإفراط.

---

(٩١)راجع: د علي السالوس مع الاثني عشرية في الأصول والفروع ص١٠ وما بعدها، سلسلة رسائل له عن الإمامة عند الجعفرية وانتهى من ذلك إلى أنّ استدلالاتهم تنبني على روايات متصلة بأسباب النزول، وتأويلات انفردوا بها ولم يصح شيء من هذا ولا ذاك بما يمكن أن يكون دليلاً يؤيد مذهبهم.

(٩٢)د. عبدالله عباس، اثر الواقع السياسي والفكري في انحراف التفسير القرآني، ص٧.

(٩٣)وهو من أهل السُنّة، مالكي المذهب، مشهور بذلك.

(٩٤)محمد بن محمد بن أحمد ابن جزي(٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، الآية ٦٠ من سورة الإسراء، وانظر أيضاً عند تفسيره لسورة القدر.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

أولاً: تأثر تفريط: التجديد والتطوير في تفسير القرآن واستنباط مكنوناته أمر مرغوب ومطلوب، وليست الخطورة في التجديد والتطوير؛ بل الخطورة تكمن في مخرجات هذا التجديد، وما نأتي منه وما ندع، العبرة في منتجات هذا التجديد، فهناك وسائل تُستحدث ومناهج تستجد، من استعان بها **وفق ضوابط الشرع والتفسير** فلا بد أن يأتي بجديد وفق معيار الوحي والدين؛ مناهج أبدعها العقل البشري المتطور المنضبط بالضوابط الثابتة التي تحول دون الزلل والانحراف. إلاّ أنّ هناك من تعرى عن كل ضابط، وطفق يجدد في التفسير لينشئ فهماً لا يرضاه الدين ولا يقبله الشرع، ويسقطه على واقع هجين.

"إنّ المتتبع لاتجاهات التجديد المنحرفة في دراسة القرآن الكريم يجدها قد بدأت دعوات لفهمه وفق مقتضيات العصر وعلومه؛ ومقتضيات العصر هنا لا يقصد تنزيل القرآن على واقع الناس، أو وضع الحلول لمشاكلهم، وإنما يقصد الأخذ بالمناهج الغربية المعاصرة في قراءة النصوص، وتنزيلها على القرآن الكريم، بغض النظر عن ربانية مصدره وقداسته"(٩٥).

ومن هنا فإنّ سلامة المخرجات ونظافة المجدَّد يسبقها أولاً معيار الضوابط والحدود، فالخلل فيها أسفر عن مناهج غريبة وفلسفات دخيلة، أصابت الدراسات القرآنية بعلة، كالهرمنيوطيقية الفلسفية: وهي التي سادت في الخطاب العربي العلماني، وأغرم بها كثيرٌ ممن نادوا بقراءات جديدة للقرآن؛ من خلال تحديدها بشكل دقيق لكل من: تاريخية النص وتعدد المعاني ونسبية الحقيقة، وهي العناصر التي أقاموا دعواتهم لقراءات جديدة للقرآن، من أمثال نصر أبو زيد(٩٦). ومن العلل التي أصابت الدراسات القرآنية أيضاً تحكُّم المنهج التاريخي في القرآن؛ وأنّ كل شيء أو كل حقيقة تتطور مع التاريخ؛ فهو منهج يهتم بدارسة الأشياء والأحداث من خلال ارتباطها بالظروف التاريخية؛ حتى العقائد والأفكار، ومن رواد هذا الفكر: العروي ومحمد أركون ومحمد شحرور، وطيب تيزيني، والجابري الذين حاولوا التوفيق جاهدين بين المادية التاريخية والإسلام؛ للتنصل من سلطة النص، وقداسته، وشموليته، وعمومه لكل زمان ومكان. (٩٧)

وسأضرب على هذا التفريط بمثال لست أحصره، والأمثلة كثيرة جداً؛ فهذا د. شحرور يحاول نصرة المرأة على حساب القواعد والضوابط، وترك المسلمات اللغوية والعلمية؛ حين عدّ لفظ النساء بأنه الموضة وليس ذلك النوع الإنساني فقال: "ونتيجة لفهم

---

(٩٥)د. دلال كويران، التجديد في التفسير، ٢٠٩.

(٩٦)وهو من أشهرهم مع حرصه على تسميتها بالتأويل؛ لما في هذا اللفظ من معنى إسلامي مقبول، انظر كتبه : الاتجاه العقلي في التفسير فلسفة التأويل: دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين ابن عربي"، ثم أصدر كتابه "إشكاليات القراءة وآليات التأويل.

(٩٧) للتفصيل ينصح : د دلال كويران، التجديد في التفسير من صفحة: ١٨٥- ٣٢٥. وينظر: النص السلطة الحقيقة، نصر أبو زيد ص: ٦ ، القرآن من التفسير بالموروث إلى تحليل الخطاب الديني ص١٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

خاطئ لمعنى لفظة "النساء" في الآية ﴿ٱلۡخَيۡلِ﴾ آل عمران: ١٤ جرى اعتبار المرأة "متاعاً "، و"المتاع" هو ما ينتفع به من الأشياء، بينما لا يمكن اعتبار أنّ "النساء" هنا تعني أزواج الرجال؛ لأنّ الخطاب موجه للناس ذكوراً وإناثاً، و"نساء" من "النسيء" وهو التأخير، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ التوبة: ٣٧ والناس قاطبة تحب الجديد من الأشياء (الموضة)، وهذه الشهوة هي التي تحرك التقدم الصناعي، من صنع سيارات أحدث وثياب أحدث وكل ما يخضع للتجديد" ويقول عن القوامة انها لا تنحصر بالرجل:"..وينسى التأسي هنا بالرسول الأعظم، حيث كانت القوامة للسيدة خديجة، من حيث أفضليتها المادية، فكانت تنفق على البيت وكان هو متفرغاً للدعوة، ولم يتزوج من أخرى إلا بعد وفاة السيدة خديجة"[٩٨] والأمثلة كثيرة.

ثانياً: تأثر إفراط: وباعثه الجهل والاستعجال؛ فكما كُرث الإسلام بشانئين حرفوا فهمه، ونهوا عنه، وقلّصوا من ثوابته وفرائضه، فهو لم يسلم أيضاً من سوءٍ لفهمه وتحريف لغاياته؛ ممن يزعم الانتساب إليه والدعوة لهديه، فغالى فيه وحمّله ما لم يحتمل، فورد القرآن بغير آليات لفهمه، وقد أخذ في حجره قيراطين من جهل، فاجتهد من ليس أهلا للاجتهاد، ووضع نفسه معياراً لأعراض الناس وأموالهم بل ودمائهم. فإنّ " الاجتهاد بذل الوسع في بلوغ الغرض؛ فالمجتهد إذا كان كامل الآلة في الاجتهاد في الفروع فأصاب فله أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد"[٩٩] و" من تكلف ما جهل ومالم تثبته معرفته كانت موافقته للصواب- إن وافقه من حيث لا يعرفه- غير محمودة، والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور"[١٠٠]. ورحم الله الإمام مالك:" إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة، فما اتّفق لي فيها رأي إلى الآن، وقال أيضاً: ربما وردت علي المسألة فأفكر فيها ليالي"[١٠١].

أمثلة تطبيقية: رأينا في أيامنا هذه رؤوساً جاهلة، رأوا في أنفسهم أنهم محور الكون، وأنّ الناس تبع لهم، ومن خالفهم- ولو باجتهادهم- حدوه وقتلوه، وخلطوا بين الكافر المسالم والمحارب، وخلطوا بين العاصي والكافر[١٠٢]، وعدوهم ببوتقة واحدة، وأنزلوا عليهم حكماً واحداً. وسأورد ثلاثة أمثلة لهذا الجهل والتخبط، الجهاد والحدود والخلافة:

---

(٩٨) د محمد شحرور، المرأة بين الإسلام والفقه، الموقع الرسمي: http://www.shahrour.org .

(٩٩) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني(ت٤٧٨هـ)، الورقات، ص٣١.

(١٠٠) الموافقات، الشاطبي، ٣٢٣/٥.

(١٠١)القاضي عياض بن موسى بن عياض(٥٤٤هـ) ، ترتيب المدارك١٧٨/١.

(١٠٢)يعد كتاب أبو محمد المقدسي:" ملة إبراهيم " من أخطر الأدبيات التي صاغت التيار الجهادي، يقوم الكتاب على فكرة الأخذ بملة النبي

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

أولاً: الجهاد: (١٠٣) هذه الفريضة الجليلة، قلبت من وسيلة راقية إلى غاية عمياء، واستطاع الشانئون تفويحها بِشِرار النعوت، فغدت تحمل سمعةً لطالما شحنت كتب التفسير والفقه والعقيدة بنفيها، والاستشهاد بوقائع تدلل على احترام الناس لما يتجهون إليه من عقائد وملل ُّ الكافرون: ٦، حتى جاء من يعزز مفهوم غائية القتل من غير بصيرة؛ فقتل المسلمين قبل الكافرين، فحملوا آيات القتال على إطلاقها، وطبقوها وأنزلوها على واقع غير واقعها، ومناط غير مناطها" هذا الخلل عندهم في فهم الواقع خطير جداً، لأنهم لما كفّروا المسلمين، واستباحوا دماءهم، اعتقدوا أنهم هم- دون بقية أمة الإسلام ذات المليارى مسلم في مختلف بقاع المعمورة مشرقاً ومغرباً- يمثلون الدين، فقاموا باستلاب مهام الأئمة، كالبيعة، والجهاد، والنفير العام، واعتبار أخطائهم هذه معركة مصيرية للأمة، بينما القتال حكم شرعي يتم اتخاذ القرار فيه من قبل مؤسسات الدولة المختصة المنوطة بذلك، وليس حماسة أو اندفاعاً، فتعتريه الأحكام التكليفية الخمسة، فقد يكون واجباً، وقد يكون مندوباً، وقد يكون حراماً، بحسب تقدير شؤونه وأحواله ومقاصده ومآلاته"(١٠٤). ومن شبهاتهم: **الأمر بالقتال حين الوجد والظفر**(١٠٥): ُّ بح بخ بم به تج تح تخ التوبة: ٥ فجعلوا القتل منوطاً بالكفر لا منوطاً بالاعتداء والإخراج من الديار، وإنما شرع القتال لأمرين: رد الظلم والعدوان والخروج من الديار ُّ لخ لم لى لي نم نى ٍّ الحج: ٣٩ - ٤٠

وقد وقعوا بأخطاء قاتلة في تطبيق حكم الجهاد على الواقع الخطأ(١٠٦)؛ منها:" الخلل في تشغيل منظومة الجهاد وتفعيلها؛ فليس لديهم أدنى فهم في فقه النتائج والمآلات(١٠٧)، وليس لديهم فقه في الموازنة بين المصالح والمفاسد، وليس لديهم أدنى فهم في فقه

إبراهيم، ويتمثل بالكفر "بالطاغوت" والبراءة منه. ويتدخل المقدسي في تحديد أشكال هذا الكفر، إذ لا يجوز أن ينخرط المسلم في وظائف الطاغوت، خصوصاً في السلك العسكري.

(١٠٣) من أهم مراجعهم كتاب "إدارة التوحش" لـ"أبو بكر الناجي" وهو اسم مستعار رفض مراجعات الجماعة الإسلامية في مصر واسمه الحقيقي "محمد خليل الحكايمة". ملخص الكتاب:" أن الأمة تمر بثلاث مراحل، الأولى "جهاد النكاية"، والمرحلة الثانية "عموم الفوضى" في المناطق وأن يضربها التوحش، وهنا يجب العمل على إدارة التوحش، والثالثة "التمكين وتأسيس الدولة الإسلامية".

(١٠٤) د. إبراهيم نجم، العربية نت تفاصيل آيات وأحاديث حرفها "داعش" لتبرير الإرهاب، الثلاثاء ١٠ صفر ١٤٣٦هـ. ويقصد الكاتب بالجهاد هنا: القتال؛ وإلا فإنّ مفهوم الجهاد أوسع.

(١٠٥)بعض آرائهم سمعناها مباشرة من بعض جهلائهم، ومنها ما نسمعه من وسائل الإعلام بألسنتهم هم.

(١٠٦) فمساجد المسلمين لم تسلم من قتلهم وتفجيرهم.

(١٠٧)وهو مراعاة الشارع الحكيم التشريع لما سيؤول إليه الأمر والحكم، سواء في ذلك مقام الأمر أو النهي، ومصداقه قوله عز وجلّ: ُّبجبحبخبم

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

المقاصد، وأنّ الأحكام في أصلها شرعت لمقاصدها، فكيف إذا انقلب العمل إلى هدم مقاصده. ثم الخلل في تحقيق مناط الأحكام، فلا خلاف على شرعية الجهاد، لكن المشكلة في تحقيق مناطه، فلابد من فقه اجتهادي لا يقوم به سوى الراسخين في العلم، إدراكاً للواقع، وإذا غاب إدراك الواقع عن الفقيه تخبط في تنزيل الأحكام الشرعية عليه، كما اشترط ابن القيم حين قال :" فهم الواقع، والفقه فيه وفهم الواجب في الواقع"(١٠٨).

ومن أخطائهم في تطبيق حكم الجهاد بتر آيات الجهاد عن حكم الجهاد وظروفه العامة في القرآن الكريم؛ فهذه الآية كانت في سياق محدد وهو قتال من قاتلنا وأخرجنا من ديارنا، فلا يعقل الأخذ بأمر خاص مبتوراً من سياقه العام ؛ كمن كُلف بأمر عام وضُمن هذا الأمر بأوامر خاصة تابعة لذلك الأصل العام ؛ فالأمر بالقتل حيث وجدوا لأناس مخصوصين بواقع خاص لا على إطلاق الأمر؛ فأينهم من قوله تعالى- من أواخر ما نزل-: ُّ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي □ □ □ □□ □ □ □ □ □ ّ الممتحنة: ٨ فلو أخذ نص أحادي من غير اكتمال منظومة الأمر كان كمن رفضه، بل وعمل على خلافه." لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبوا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة لا محذور فيها ولا مفسدة، كما قال تعالى عن الأبوين المشركين إذا كان ولدهما مسلماً ُّ □ ّ لقمان: ١٥ (١٠٩) **ثم يقولون لك**: لا يفتي قاعد لمجاهد: وهذا المصادرة على المطلوب؛ فقد افترضوا صحة هذه القاعدة وألزموا الناس بها؛ وهي غير صحيحة ؛" فالإصابة في الفتوى ليست منوطة بالجهاد، وإنما بالاستدلال وطرائقه"(١١٠)، وإلا لكان من

بهتجتحتختمتهثمّ **الأنعام: ١٠٨ وقوله تعالى:** ُّ آتي □□□□□□□□□□□□□□□□ّ **الأحزاب: ٣٧** وقول النبي ﷺ: " دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه" البخاري، ٤٩٠٥، كتاب الجمعة باب قوله { سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين } وانظر عبد الرحمن السنوسي، اعتبارات المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، دراسة مقارنة في أصول الفقه ومقاصد الشريعة، ص١٥ وما بعدها.

(١٠٨)نفس المرجع، وانظر الإمام السبكي في كتابه: الفتاوى، ٢/ ٣٤٠.

(١٠٩)عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي(ت١٣٧٦ هـ) ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٥٦.

(١١٠)د عماد الدين خيتي، شبهات تنظيم الدولة الإسلامية والرد عليها، ص١٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ – 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

شروط الفتيا أن يكون المفتي في ساحة الجهاد، وهذا ما لا يقبل، بل يكفي فهْم الواقع وفهم الواجب في هذا الواقع، أي حكم الله فيه(١١١) وكما هو معلوم فإنّ الفتيا مجالاتها واسعة؛ فلو اشتُرط في كل مهنة ممارسة العالم لها لضاع العلم وضنت الفتيا(١١٢).

ثانياً : الخلافة: (١١٣)ورد لفظ الخلافة في القرآن الكريم وصفاً عاماً لوظيفة آدم وذريته في الأرض ُّ □ □ □ □ □□ ّ البقرة: ٣٠ وليس المقصود آدم فقط(١١٤)، والخليفة هو الذي يخلف غيره(١١٥) والدليل عليه ُّ □ □ نم نى □ □ □ ّ على أنّ هذا الوصف لا يعدو كونه محدداً للغاية التي من أجلها كانت البشرية، ولم يشترط ربنا عز وعلا علينا أن نتسمى بهذا الاسم في نظام الحكم، بل أوجب علينا الانتهاج بنهجه وهديه. وقد ورد في القرآن مسميات لنظام الحكم غير الخليفة؛ كالملك ُّ □ □ □ □ □ ّ البقرة: ٢٤٧ وقال: ُّ □ □ □ ّ البقرة: ٢٥١ ، فيسمى الحاكم خليفةً لكونه يخلف النبي ﷺ في أمته، ويسمى إماماً تشبيهاً بإمام الصلاة في اتباعه والاقتداء به، ولهذا يقال: الإمامة الكبرى، ويسمى: أمير المؤمنين، كما سمي سيدنا عمر رضي الله عنه، وقد ورد في القرآن قوله تعالى: ُّ □□ ّ النور: ٥٥وورد في السنة قوله ﷺ: " تكون خلفاء فتكثر..." (١١٦) وقوله: " ثم تكون خلافة على منهاج النبوة "(١١٧). وقوله:" من بايع إمامًا ...." (١١٨) فسماه النبي خليفةً تارة، وسماه إماماً تارة أخرى. ولو سُميَ رئيساً أو ملكاً أو أميراً فلا حرج؛ فالعبرة بالمضمون. وعليه فلا يحتاج المسلمون لشق كيانهم وإعلان كيان جديد تحت ذريعة إحياء الخلافة؛ فالكيان موجود وتنقصه فقط إرادة الوحدة تحت أي مسمى. فبادر بعضٌ ممن تحكّم في رقاب المسلمين بإعلان الخلافة، وأمر الناس بوجوب البيعة له والولاء لتنظيمه، من غير مشورة ولا ضياء، بل على تحكم وعماء، وعدّ كل من خالفه عدواً له، وجبت محاربته وردته.

---

(١١١)لتفصيل ذلك يرجع لابن القيم، إعلام الموقعين، ١/ ٩٦.

(١١٢)وأين هم من قوله تعالى: ُّ □□□□□□ ّ التوبة: ١٢٢ ثم هل لخروجهم للقتال مشروعية؟

(١١٣) من أهم مراجعهم: عثمان بن عبد الرحمن التميمي "إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام"

(١١٤)انظر ابن جزي الكلبي، ١/ ٢٩.

(١١٥)محمود بن عمر الزمخشري(ت٥٣٨ هـ)، الكشاف، ١/١٥٣.

(١١٦)صحيح مسلم، ٤٨٧٩، الإمارة، باب الْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ.

(١١٧)مسند أحمد، ١٨٤٠٦، مسند الكوفيين، وحسنه الشيخ شعيب.

(١١٨)رواه أبو داود، ٤٢٤٨، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، وحسنه الشيخ الألباني، ورواه أحمد ٦٥٠١، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

لكن السؤال المطروح : هل يجوز إعلان الخلافة في مرحلة الاستضعاف وضعف التمكين؟ هل يجوز لفئة مجهولة تنصيب شخص مجهول لهذا المنصب الكبير؟ وهل يجب على المسلمين مبايعة ذلك المجهول؟ أو الانصياع لمنتج ذلك التنظيم الأجهل ؟ وهل المعتبر شرعاً وسياسةً اسم هذا المنصب أم مضامينه ومقاصده؟ أين الشورى وأين أهل الحل والعقد؟ أين البيعة بشروطها؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" فإنه لا يشترط في الخلافة إلاَّ اتفاق أهل الشوكة والجمهور؛ الذين يقام بهم الأمر؛ بحيث يمكن أن تُقامَ بهم مقاصد الإمامة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: "عليكم بالجماعة؛ فإنّ يدَ الله معَ الجماعة"[١١٩] وقال: إنّ الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد"[١٢٠] فالبيعة دون مشورة من المسلمين وأهل الحل والعقد فيهم،[١٢١] بيعةٌ باطلة بدعية. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ، تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ " قال ابن حجر رحمه الله: " والمعنى: أنَّ من فعل ذلك فقد غرَّر بنفسه وبصاحبه وعرَّضهما للقتل "[١٢٢].

---

(١١٩) قال الشيخ نبيل البصارة:" أخرجه البخاري في "الكبير" (٢/ ٢ / ١٥٥) والبيهقي في "الشعب" (١٠٥٧٤) من طريق عبد الله بن وهب ثني سعيد بن عبد الرحمن به. وسعيد والسائب ترجمهما البخاري وابن أبي حاتم في كتابيهما ولم يذكرا فيهما جرحًا ولا تعديلا، وذكرهما ابن حبان في "الثقات". وللحديث شاهد عن ابن عمر مرفوعا "احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهر الكذب حتى يشهد الرجل قبل أنْ يُستشهد، وحتى يحلف قبل أنْ يُستحلف، ويبذل نفسه بخطب الزور، فمن سرّه بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن يد الله على الجماعة، وإنّ الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد، ولا يخلونّ رجل بامرأة، فإنّ ثالثهما الشيطان، ومن ساءته سيئته وسرّته حسنته فهو مؤمن" أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٧٢٤٥) عن محمد بن راشد الأصبهاني ثنا إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عمر به. وقال: لم يَرو هذا الحديث عن ابن أبي نجيح إلا ابن جريج، تفرد به حجاج بن محمد" قلت: إبراهيم بن عبد الله المصيصي ذكره ابن حبان في "المجروحين" (١/ ١١٦) وقال: يُسَوِّي الحديث ويسرقه ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم. وقال الذهبي في "الميزان": أحد المتروكين" أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري ٥/ ص٣٥٩٧.

(١٢٠)أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية(٧٢٦هـ)، منهاج السنة النبوية ، ٨/ ٣٣٦، انظر الهامش السابق.

(١٢١) وجود الخليفة عندهم- التي عين بها "الخلفاء مؤخراً- عن طريق الغلبة والقهر بالسيف، عند حلول الفتن وخلو الزمان من الإمام، وتباطؤ أهل الحل والعقد عن تنصيبه، فيشرع وقتها لمن تغلب بسيفه من المسلمين ودعا للبيعة وأظهر الشوكة والأتباع أن يصير أميراً للمؤمنين، تجب بيعته ولا يحل لأحد منازعته". التميمي "إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام" ص١٣.

(١٢٢) أحمد ابن حجر(٨٥٢هـ)، فتح الباري، ١٢/ ١٥٠ ، ورواية عمر عند البخاري، بَاب رَجْمِ الْحُبْلَى مِنْ الزِّنَا إِذَا أَحْصَنَتْ، ٦٣٢٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

ثالثاً: الحدود: لا تكاد تمر أيام حتى نُفجع بمنظر الدم يراق باسم الإسلام والتقرب إلى الله به، نصحو بعد ليل أسود بمصيبة سوداء تلصق بالدين وباسم الدين، تحت مسمى تطبيق شرع الله وحدوده. فقامت فئة باحتكار الدين وفهم الدين ودعوى حماية الدين، بل وقبل توزيع قوائم الأمان والغذاء والدواء توزع قوائم الحدود والعقوبات، فجعلوا الحصان بعد العربة، بل تركوا المجرمين الحقيقيين يسرحون ويقطعون الطريق ويعيثون في الأرض الفساد لمجرد أنهم قد بايعوهم وأعطوهم الولاء. وبعد أن نصبوا أنفسهم أوصياء وأولياء على الدين- وهذا جرم فاضح- أخذوا يحكمون على الناس بالردة والفسوق، وجعلوا من أنفسهم قضاةً وجلادين، فقطعوا الرؤوس وحرقوا الأحياء بالنار تحت ذريعة القصاص؛ وكأنهم هم المسؤولون عن تطبيق القصاص والحدود.

وهل تطبيق الحدود منفصل عن شروط صارمة وضعها الشرع وأكد عليها؟ أم أنّ تطبيق الدين والشريعة هو بقطع الرؤوس بالشبهة؟ ورجم العصاة من غير تهيئة ظرف تطبيق الحد؟ أين إطعام الجائع وتأمين الخائف؟ أين كسوة العريان؟ أين المناخ المفروض تهيئته لإقامة الحد؟ قال ابن قدامة عن شروط إقامة الحد: " فَيُقِيمُهُ الْإِمَامُ أَوْ نَائِبُهُ"، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: وقوله: «الإمام» الإمام في كل موضع بحسبه، فعندما نتكلم عن الجنايات والحدود وما أشبهها، يكون المراد بالإمام من له السلطة العليا في الدولة"(١٢٣) فلا يتصدر لهذا الشأن العظيم غير الإمام أو نائبه فقط، ولا يجوز لغيرهما كائناً من كان.

المطلب الرابع: استدلالات شعبية: وهي اقتباسات واستحضارات للقرآن على واقع خاص، وأصله الاقتباس والتضمين؛ وأعني بالشعبية أنها لم تصدر عن عالم حاذق، بل هي مطابقات شعبوية، لم تصدر عن نخب علماء الشرع؛ بل من عامة الشعب، يصيب بها القليل ويتمادى بها الكثير؛ لتستحيل أحياناً ذنباً قد يصل به إلى الكبيرة. وتختلف نوعية هذه الاستدلالات؛ فمنها اقتباس كامل الآية، ومنها تغيير كلمة منها، ومنها استخدامها لأغراض ومآرب:

الأول: الاقتباس الكامل: و"الاقتباس أصله طلب القبس وهو الشعلة، ثم استعير لطلب العلم والهداية، ومنه:" انظرونا نقتبس" وهو عرفاً تضمين الكلام نثراً أو نظماً شيئاً من قرآن أو حديث"(١٢٤ ويشترط في الاقتباس في علم البلاغة أن لا يشعَرُ بأنه من القرآن أو الحديث. وما يعنيه الباحث ليس الاقتباس بمعناه البلاغي والدلالي؛ إنما هو الاقتباس الواقعي؛ بأن يقتبس القائل- بغض النظر عن ثقافته وعلمه- آيةً قرآنية للتعبير عن مشاعره تجاه واقعة معينة وحادثة واقعة؛ ولم أسمه استدلالاً لأنّ أهلية

(١٢٣) الشيخ ابن عثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٢١٤/١٤.

(١٢٤) عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي(١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، ص٨١.وانظر :الكليات، ص ٢٢٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

الاستدلال ببعده العلمي المنضبط قد انعدمت— على الغالب- فيمن اقتبس هذه الآيات .ويمكن تقسيمه إلى قسمين: **قسم** يستذكر آية يتشابه موضوعها بموضوع الآية بالعموم؛ كقول أحدهم عندما يحصل عليه شدة أو ضيق:ﱡ □ □ □ ﱠ مريم: ٨٣ ، وعندما لقاء أحد ما:ﱡ □ □ □ □ □ ﱠ طه: ٤٠ وعند الطعام:ﱡ تم تهثم □ جم □ حم □ خمﱠ الحاقة: ٢٤ﱡ □ □ □ □ نى ني ﱠ الغاشية: ٧ " والخير في ترك استعمال هذه الكلمات وأمثالها فيما ذكر ؛ تنزيهاً للقرآن، وصيانة له عما لا يليق"(١٢٥). وهو من باب سد الذريعة من الوقوع في الاستدلال الخطأ والمحظور . **وقسم** يستذكر الآية وينزلها مطابقة لمثلها من الحوادث، فهذا اقتباس رضيه العلماء، قال الألوسي:" والصحيح جوازه، فقد وقع في كلامه عليه الصلاة والسلام وكلام كثير من الصحابة والأئمة والتابعين، وللسيوطي رسالة وافية كافية(١٢٦) في إزالة الالتباس عن وجه جواز الاقتباس"(١٢٧). ذلك حين قال النبي ﷺ في خيبر: الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فَسَاءَ صباحُ المنذَرين. قالها ثلاثاً"(١٢٨ فقد اقتبسها ﷺ من قوله تعالى:ﱡ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﱠ الصافات: ١٧٦ - ١٧٧ قال ابن عبد البر في التمهيد:" وفي هذا الحديث إباحة الاستشهاد بالقرآن فيما يحسن، ويجمل"(١٢٩)."إذا صح أن تنطبق الآية على هذا المعنى فلا بأس؛ لأن الرسول ﷺ استشهد بالقرآن حينما خرج الحسن والحسين يعثران في ثيابهما ثم نزل من المنبر، وأخذهما وجعلهما بين يديه، ثم قال: صدق الله:ﱡ □ نى ني □يرﱠ التغابن: ١٥(١٣٠)، المهم أن تنطبق، أما أن تقول لرجل:ﱡ بر □ □ بنﱠ النساء: ١٤٢ وهو مؤمن، فهذا لا يجوز، لأن هذه الآية في المنافقين"(١٣١)

---

(١٢٥)" فتاوى اللجنة الدائمة " (٤ / ٨١ ، ٨٢) ."

(١٢٦)يقصد: " رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس "، رسالة جامعة مانعة حاوية لآراء الصحابة والتابعين وهي مطبوعة ضمن كتاب "الحاوي لفتاوي السيوطي".

(١٢٧)الآلوسي، روح المعاني، ١٥ ،٤٩٠.

(١٢٨) صحيح البخاري، باب ما يحقن بالأذان من الدماء ٦١٠.

(١٢٩) يوسف بن عبد الله النمري بن عبد البر(٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٢٣/٢.

(١٣٠) قال الألباني: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيّ، وقال:" إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذا قال الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه ابن خزيمة وابن حبان، وقال الترمذي: " حديث حسن " انظر: صحيح أبي داود، باب الامام يقطع الخطبة للأمر يحدث، ١٠١٦، ٢٧٢/٤.

(١٣١) محمد بن صالح ابن العثيمين (ت ١٤٢١ هـ) ، لقاء الباب المفتوح،: اللقاء١١١.

ثانياً: الاقتباس مع تغيير الكلمات: وهو غالباً مصاحب لكره شديد أو حب وتعصب شديد، فيتم تغيير كلمة من آية، واستحضار بقية الآية للدلالة على جهة معينة يعنيها. وهذا التغيير لا يخلو من أمرين: إما أن يقول: قال الله تعالى ثم يستشهد بآية ويغير بها ويبدل، فهذا استهزاء وكفر، وإما أن يستحضر الآية من غير نسبتها إلى الله، ويغير بها كلمات محورية؛ فإن تبادر إلى السامع أنه القرآن مع تغيير بعض الكلمات فهذا من التلاعب بالقرآن، والأولى عدم التعاطي مع القرآن بهذا التعامل، كقول القائل:" إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإخوان " فتقال استهزاءً بهم؛ وهذا من وضع القرآن في غير ما وضع له، فالعبارة واضحة السبك أنها من القرآن الكريم، ويتبادر إلى الذهن من غير عناء أنها آية من القرآن الكريم، تغيرت كلمة محورية منها. ثم إنّ المحظور فيها نسبة الكلام إلى الله واضحة، كقول بعضهم: "والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد المحزون" " فمن قال هذا على سبيل الاستهزاء والسخرية: فإنه على خطر عظيم، وقد يقال إنه خرج من الإسلام؛ لأن القرآن لا يجوز بأي حال من الأحوال أن يُتخذ هزواً، وكذلك الأحكام الشرعية"(١٣٢). ومنه ضرب المثل بالآيات: كأن يقول عند الغضب أو الانشغال بأكثر من شيء:" ما جعل الله لرجل من عقلين" مشتقة من الآية الكريمة ُّ □ □ □ □ بر □ □ بنَّ الأحزاب: ٤، والضابط فيه حال القائل؛ فمن دقق في هذه المطابقات وجد حكمها منضبطاً بالاستهزاء أو التعظيم.

ثالثاً: الإعلانات التجارية: وهي وسيلة جذب لزبائن السوق، ووسيلة تسويق واستمالة عواطف المشترين، وإيحاء- على الغالب- بأمانة وتقوى البائع وعفته وسلامة منتجه.

ولانتشارها فقد لفتت أنظار وسائل الإعلام. (١٣٣) فتجد تاجر اللحم يكتب على متجره: ُّ تر □ □ تن تى ّ البقرة: ١٧٢ فيما كتب تاجر منتجات البحر: ُّ نى ني □ ير □ □ينّ الأنبياء: ٣٠ وآخر يكتب: ُّ □ □ □ □ □ □ ّ الأعراف: ٨٩ لأنّ جاره غير مسلم. وكالذي يكتب على محلات الحلاقة: ُّ □ □ □ □ ّ القيامة: ٢٢ ، ويكتبها : " ناعمة " وهذا من استخدام القرآن في غير مواضعه، فلم ينزل القرآن لجذب زبون، أو يهان على "(طبلون أو تابلوه)" السيارات، وحليّ النساء، وإنما يجب تنزيه القرآن عن هذه المنزلة، بل وربما يعمل بخلاف الآية المعلقة فوقهم. (١٣٤)

---

(١٣٢) محمد بن صالح ابن العثيمين (ت ١٤٢١ هـ) ، لقاء الباب المفتوح،: اللقاء ٦٠.

(١٣٣) موقع العربية نت : الأحد ٠٩ ذو القعدة ١٤٣١هـ - ١٧ أكتوبر ٢٠١٠م

(١٣٤) وقد حرمت اللجنة الدائمة للفتوى في المملكة العربية السعودية هذا الشيء، وعدته من الانحراف، وجلب الشرك والتمائم. انظر : فتوى رقم (٢٠٧٨). والفتوى رقم : ٢١٥٦٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

رابعاً: النكت بالآيات: وهذا من سوء استخدام القرآن في غير ما وضع له، فتعظيم القرآن لازم من لوازم الإيمان به، ويختل هذا اللازم، ويتناقص بهذه النكت، قال تعالى مثرّباً على الكفار: ﴿ لخ لم لى لي ﴾ الأنعام: ٩١ وقال تعالى: ﴿ يم يى ﴾ الحج: ٣٢ ، ولا يجوز استعمال آيات القرآن في المزاح على أنها آيات من القرآن، أما إذا كانت هناك كلمات دارجة على اللسان لا يقصد بها حكاية آية من القرآن أو جملة منه: فيجوز"(١٣٥) يقول السيوطي رحمه الله :" من الاقتباس المردود تضمين آية في معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك "(١٣٦) .

خامساً: الشعارات الانتخابية: وهي استخدام الآيات القرآنية وسوء مطابقتها لواقع يرضاه أو يرفضه متسابِق محموم في مسابقات الانتخابات السياسية أو الخدمية، فمقاطعة الانتخابات أمر غير جائز لقوله جلّ شأنه: ﴿ يم يى ﴾ البقرة: ٢٨٣ ، وفي المقابل: المشاركة في الانتخابات أمر محرم لقوله جلّ شأنه: ﴿ يم يى ﴾؛ فاستخدمت الآية ذاتها لمن أوجب ولمن أنكر؛ فهي للمنكر حجة وللمثبت حجة كذلك. وكهذا الذي قال بعد نجاح مرشحه متسائلاً: "لمن الحكم اليوم"؟!!! وذاك الذي قال في هجومه على خصومه:" قل موتوا بغيظكم"!! وكاتب يحرف بعضاً من آيات القرآن، ويستخدمها في مقاله تأييداً لموقفه السياسي، ومناصرةً لما يعتقده صواباً سياسياً، فيقول: "يا أيها اللصوص ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم ... وجنوده. ويا أيها الفاسدون إنه لا يعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما يعبد. لكم دينكم وله دين! وآخر يقول: "اليوم أتممنا لكم تمردكم ورضينا لكم ... رئيساً". وفي هذا السياق تناثرت مقولات للتعبير عن الكيد السياسي مستمدة من تحريف آيات قرآنية، كقول أحدهم:" قل يا أيها العلمانيون لا أعبد ما تعبدون" وقول الآخر:" لكم ليبراليتكم ولي شريعتي" وقول الثالث: "وسيق الذين تأخونوا إلى جهنم زمراً" وقول الآخر:" قالوا اقتلوا الإسلاميين أو ألقوهم في غياهب السجن يخل لكم وجه الوطن وتكونوا من بعدهم قوماً ديمقراطيين" وغيرها كثير كثير لا مجال لطرحها هنا. (١٣٧) وهذا انحدار وإسفاف في التعاطي مع القرآن الكريم، و استهانة بما نزل من أجله، ويُخشى على صاحبها من الوقوع فيما حذرنا منه آنفاً؛ من الاستهزاء المفضي إلى الكفر والعياذ بالله.

---

(١٣٥) الفتوى رقم (٦٢٥٢) من فتاوى اللجنة الدائمة.

(١٣٦) جلال الدين السيوطي السيوطي(٩٧٧هـ)، الإتقان في علوم القرآن،٣٨٧/١.

(١٣٧) استعرضها وحللها أ. إسلام عبد العزيز يوم ١١ يونيو ٢٠١٤ في جريدة مصر العربية في مقال بعنوان: كل يدعي وصلا بليلى وليلى بريئة من الجميع! القرآن في الصراع السياسي.. شعار و"شتيمة"

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ – 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

الخاتمة:

وبعد هذا العرض والتأصيل لهذا الموضوع الخطير والأمر الجليل، وهو موضوع حسن المطابقة بين النص الشريف والواقع الجديد، فإنّ ولوج هذا الخضم الصعب يحتاج لدربة شاقة ومراسة طويلة، وبعد نظر لا أفق له في حكم القرآن ومقاصده من جهة، واطلاع عميق المدى بواقع متشعب من جهة أخرى، فمن ارتضى على نفسه هذا الطريق فليكن أهلاً له قادراً عليه، أو فلينخ ناقته وليلزم قدره ؛ فقد رأينا من خاض هذا الدرب من غير أهلية وكفاءة وضوابط ، كيف أنّه ضلّ طريقه وخاب سعيه.

وقد خلص الباحث إلى نتيجة شديدة الأهمية: أنّ من تشرف لهذا العمل السامي لا بد له من ضوابط توجه دربه وتنير سبيله، ولا بد أن يعلم أنه بمحاولته تنزيل آية على واقعة معينة فقد جزم بمراد الله بها، فإن كان أهلاً لهذا التطابق والتنزيل وأخطأ فهو معذور مأجور، وإن كانت الأخرى فهو ملوم مأزور.

ونعني بالأهلية هنا أهلية إدراك النص وفهمه، ويساويه بالأهمية إدراك الواقع والوقوف على أبعاده بدقة؛ وإلا نفعل ذلك تكن فتنة سوء الفهم وطامة سوء التطبيق وكارثة سوء النتيجة.

ويوصي الباحث أن تتولى الحكومات والإدارات المحلية الإشراف التام والمراقبة التامة على هذا الأمر الجلل، بنشر قيمة هذا العمل من نعومة الأظفار إلى قساوة الأفكار، وأن يتربى النشء على حرمة القول على الله بغير أهلية ودراية، وألا يترك الأمر لاجتهادات فردية رأينا عواقبها وجنينا شوك مرارتها دماءً وأشلاءً ولجوءاً.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، المجلد (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

د. فاتح حسني عبد الكريم

Abstract

The Best Conformity between Quran Rules and Reality

: Originality and Application

Dr. Fateh Hosni Abdulkareem

Co-professor of interpretations in the department of Islamic Studies - Az Zulfi College of Education – Majmaah University

This research states a serious issue where the scientist went into deep discussion whereas the illiterate made mistakes. The issue has to do with the best conformity between the Quranic verse and its reality in terms of time and inference where it has shown how illiterate studied this difficult issue making many mistakes and illusions.

The researcher set the criteria for this difficult art demonstrating the concepts of interpretation, the difference between evidence and inference , the way the guidance of our prophet it was in the sense of conformity. The researcher then stated the reasons of bad conformity between Quran and reality mentioning practical examples on this failure.

The findings of the Holy Quran indicated that the deep knowledge of the Quran and Sunnah must be accompanied by deep understanding for the reality of people and the successful hard worker is the one who combined them together.

The researcher recommends governments to be responsible for diligence according to the rules and scientific values.

Keywords: conformity /inspiration / reality / inference

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

المراجع حسب الحروف

١- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣- أحكام القرآن، ابن العربي، أبو بكر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٤- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، علي، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٥- أصول التفسير وقواعده، العك، خالد عبد الرحمن، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٤هـ ، ط ٤.

٦- اعتبارات المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، دراسة مقارنة في أصول الفقه ومقاصد الشريعة عبد الرحمن بن معمّر السنوسي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٤هـ.

٧- إعلام الأنام بميلاد دولة الإسلام، عثمان بن عبد الرحمن التميمي، مؤسسة الفرقان، وهي مؤسسة لوزارة إعلام داعش.

٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق: طه عبد سعد دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣.

٩- أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري، تأليف وتحقيق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٠- بحار الأنوار، محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي، تحقيق: عبد الزهراء العلوي، دار الرضا، بيروت.

١١- بحوث في أصول التفسير ، الصباغ، د محمد لطفي ، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٩٨٨م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١٣- التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب ، دار الفكر .
١٤- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١٤٢٠،١هـ.
١٥- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، تحقيق: ابن تاويت الطنجي وآخرون، مطبعة فضالة، المغرب،ط١.
١٦- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي الكلبي، محمد الغرناطي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم ،بيروت، ط١٤١٦،١هـ.
١٧- تفسير الأجزاء العشرة الأولى، شلتوت محمود ، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ط ١٢.
١٨- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٢هـ ط١.
١٩- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي تحقيق، سامي سلامة، دار طيبة للنشر ، ط١٤٢٠،٢هـ.
٢٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوى ومحمد البكري، مؤسسة القرطبة.
٢١- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين دراسة وتطبيق، الضامر، د عبد العزيز بن عبد الرحمن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ط١ ، ٢٠٠٧.
٢٢- تهذيب اللغة، الأزهري، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط١، ٢٠٠١م.
٢٣- التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، محمد عبد الرؤوف ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

٢٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ابن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ .

٢٥- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة.

٢٦- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٧- الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة ، بيروت٣٠٠٩.

٢٨- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، البخاري، محمد بن إسماعيل ، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٩- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أبي بكر، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١٤٢٣هـ.

٣٠- جمع الجوامع في أصول الفقه، السبكي، عبد الوهاب بن علي، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط١ ١٤٢٤هـ.

٣١- الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد اللطيف حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ .

٣٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، محمود الحسيني، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٥هـ.

٣٣- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبو حاتم، محمد بن حبان البستي ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٣٤- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة ٢٧، ١٤١٥هـ .

٣٥- شبهات تنظيم الدولة الإسلامية والرد عليها ، خيتي، د عماد الدين ، ط١ ،٢٠١٥.

٣٦- شرح نظم الورقات في أصول الفقه، ابن العثيمين، الشيخ محمد بن صالح ، دار ابن الجوزي، ط١ ١٤٢٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

٣٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، بن حبان، محمد التميمي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٤.

٣٨- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم، محمد بن أبي بكر ، مطبعة المدني، القاهرة، تحقيق: د. محمد غازي.

٣٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٠- غرائب فقهية عند الشيعة الإمامية، محمود شكري الآلوسي، تحقيق: مجيد الخليفة، مكتبة الرضوان، د.م: ٢٠٠٨ م.

٤١- الفتاوى، تقي الدين السبكي، دار المعارف، ط٢.

٤٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، بإشراف: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩.

٤٣- فتح القدير، الشوكاني، محمد علي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٩هـ.

٤٤- فقه الإصلاح والتغيير السياسي، الضمور، د. أديب طايل ، ط١، ٢٠١١، دار المأمون.

٤٥- فقه الواقع أصول وضوابط، بو عود، أحمد ، ط١، دار السلام، القاهرة.

٤٦- فقه الواقع وأثره على الاجتهاد، حصوة، ماهر حسين ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٤٣٠هـ.

٤٧- في ظلال القرآن، قطب، سيد إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.

٤٨- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق قسم إحياء التراث مركز بحوث دار الحديث، بلا تاريخ.

٤٩- كتاب الأفعال، المعافري، سعيد بن محمد ، تحقيق: حسين محمد شرف ١٣٩٥هـ.

٥٠- كتاب الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام،ص٧٧، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت.

٥١- كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد ، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

٥٢- كتاب الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٩هـ .
٥٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، محمود بن عمر، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٥٤- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم ، دار صادر، بيروت، ط١.
٥٥- لقاء الباب المفتوح،: ابن العثيمين، محمد بن صالح بن محمد ، اللقاء ٦٠.
٥٦- مباحث في علوم القرآن، القطان، مناع ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ط٣، ١٤٢١هـ.
٥٧- المبادئ أساسية لفهم القرآن، أبو الأعلى المودودي، دار التراث العربي، بلا معلومات.
٥٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية، لبنان، ط١ ١٤١٣هـ .
٥٩- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥، تحقيق: محمود خاطر.
٦٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣هـ.
٦١- مذاهب التفسير الإسلامي، اجنتس جولد تسهير، القاهرة، ١٣٧٤ هـ، ١٩٥٥م.
٦٢- مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الاسلام، العاملي، زين الدين بن علي، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الاسلامية.
٦٣- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، أبو عبدالله ، ط١ ، ١٤٢٧هـ.
٦٤- مع الاثني عشرية في الأصول والفروع، السالوس، د. علي أحمد، دار الفضيلة، ١٤٢٤هـ.
٦٥- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد ، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر ط ١٣٩٩هـ.
٦٦- مفاتيح الغيب من القرآن الكريم ، الفخر الرازي، محمد بن عمر المعروف، دار إحياء التراث العربي.
٦٧- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

٦٨- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان داودي، دار العلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ.
٦٩- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، شيخ الإسلام، تحقيق : د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١.
٧٠- الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.
٧١- الميزان في تفسير القران، الطبطبائي، محمد حسين ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٩٩٧م.
٧٢- نحو مجتمع الحرية ، خطوات في الطريق من التيه إلي الرشاد، بدري، د محمد، دار الصفوة ط١ ١٤٣١.
٧٣- النكت والعيون، الماوردي، علي بن محمد، تحقيق: السيد بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٤- الورقات، الجويني، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد.

المواقع الإلكترونية:

١- http://www.alarabiya.net

- العربية نت، ٩ ذو القعدة ١٤٣١هـ.
- العربية نت، تفاصيل آيات وأحاديث حرفها "داعش" لتبرير الإرهاب، الدكتور إبراهيم نجم الثلاثاء ١٠ صفر ١٤٣٦هـ - ٢ ديسمبر ٢٠١٤م.

٢- http://www.masralarabia.com/. جريدة مصر العربية، مقال: كل يدعي وصلاً بليلى وليلى بريئة من الجميع، أ. إسلام عبد العزيز، ١١ يونيو ٢٠١٤.

٣- http://www.kaheel7.com/ar. دراسات علمية وأبحاث تجريبية، المهندس عبد الدايم الكحيل.
٤- http://shamela.ws/browse.php/book ، تفسير سورة البقرة ، موقع الموسوعة الشاملة.
٥ - http://www.shahrour.org د محمد شحرور، المرأة بين الإسلام والفقه، الموقع الرسمي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، العدد (1)، *المجلد* (١٢)، ص ص ٥٧٥ - 618 (صفر ١٤٤٠ هـ / نوفمبر ٢٠١٨م)

المجلات والنشرات:

١- أثر الواقع السياسي والفكري في انحراف التفسير القرآني، عباس، د. عبدالله علي ، مجلة كلية العلوم الاسلامية، المجلد ٦، العدد ١٢، ١٤٣٣.

٢- أثر الواقع في التفسير، حمتو، د. عماد يعقوب، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث، عدد٨، يناير٢٠١٥.

٣- الآيات القرآنية التي استشهد بها النبي ودلالات استشهاده بها (أحاديث الصحيحين) د عصام الحميدان، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ١٤، العدد ٦، ١٤٢٩هـ.

٤- تأملات في آية التغيير، شيخو، صالح ، مجلة الحوار،٤ يناير ٢٠١٥م.

٥- تنزيل الآيات على الواقع عند ابن القيم، د يحيى زمزمي، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، عدد٤، سنة ٢.

٦- الغلو في الدين معناه وتاريخه وأسبابه، الشبل، د. علي بن عبد العزيز ، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٧٤، الإصدار من ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤٢٥هـ ١٤٢٦هـ.

٧- فهم النص في سياقه التاريخي، نجاد، السيد حيدر ، مجلة قضايا اسلامية وفكرية، العدد (٣٩) ١٤٢٧هـ.

٨- نحو منهج أمثل لتفسير القرآن، الشرقاوي، الدكتور أحمد ، دراسة مقدَّمة للمؤتمر الإسلامي العالمي عن مناهج المفسرين وشُرَّاح الحديث، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا،١٤٢٧هـ.

الرسائل العلمية:

التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه وضوابطه واتجاهاته، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، د. دلال بنت كويران بن هويمل السلمي، إشراف أ. د. أمين محمد عطية